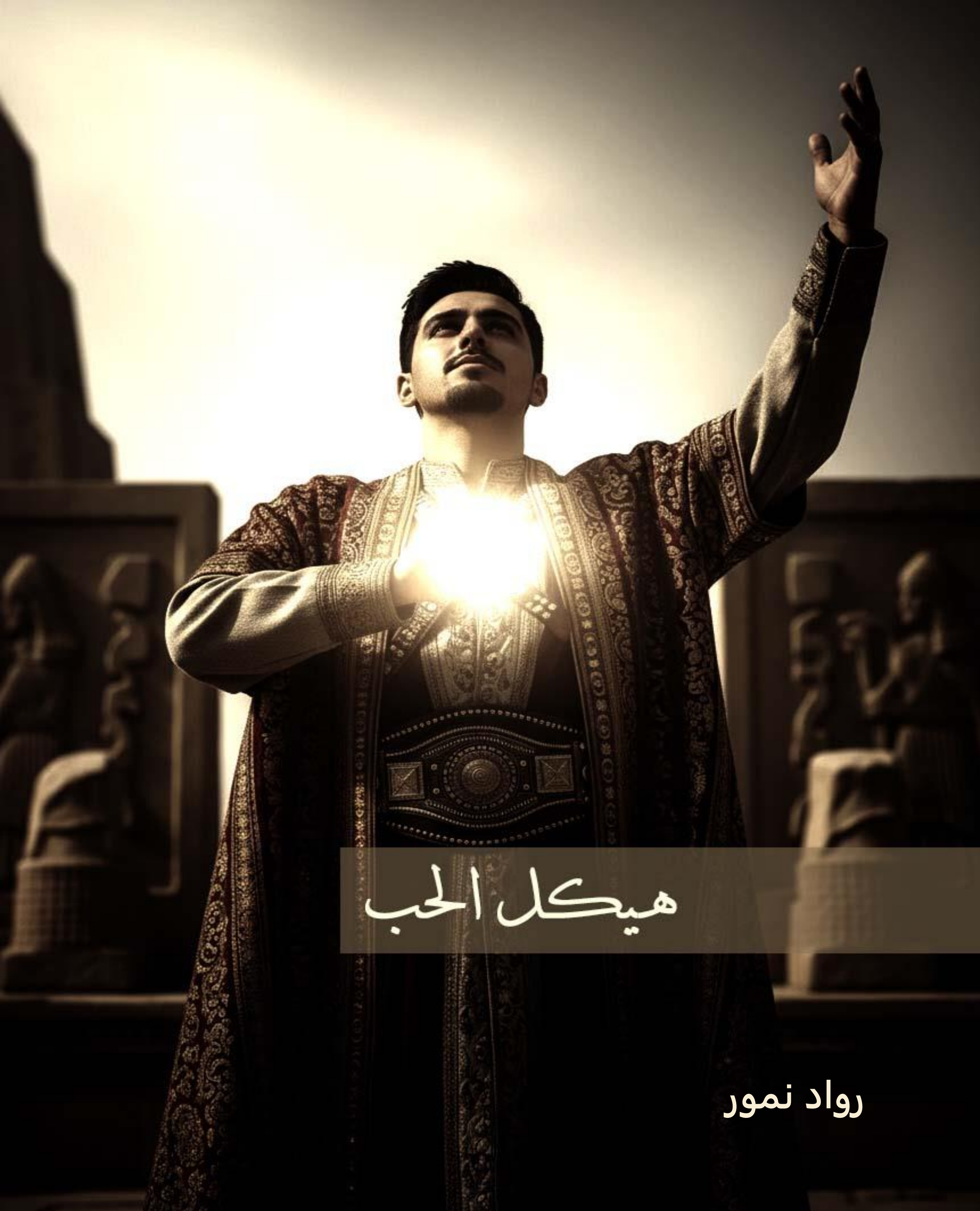

هيكل الحب
رواد نمور

مقدمة

ليس هناك متسع للمقدمات، وليس هناك أي خاتمة.. لا يمكن للكلمات أن تصف بحق جمال شروق الشمس لشخصٍ أعمى، كذلك الرحلة لا يمكن أن تختصرها بضع كلمات، ولا تستطيع أي لغة مهما بلغت من براعة أن تصبح شفافة بما يكفي لإظهار حقيقة المعنى، لطالما تلاشت قوى اللغات أمام عظمة الحقيقية... هنا حيث لن تجد الكلمات مساحة للمرور، حيث يحتل الصمت كل الساحات، حيث أن الصمتُ في حَرَمِ الجمالِ جمالُ. وقد يكون أعظم ما يعبر عن العشق هي لحظة من الصمت الخالص، حيث يتلاشى كل شيء، وتبقى فيه أنت سرّ الوجود.

رواد قحطان نمور

أرض الأساطير

اللاذقية، رأس شمرا
17 نيسان 2023 وقت الغروب.

بطرس: (التقيت مع صديقي في موقع أثري يقع في اللاذقية وبالتحديد في منطقة "رأس شمرا" بعد أن اتفقنا للذهاب إليه بهدف أن يخبرني عن مدينة تاريخية كانت قائمة هناك سابقاً تسمى "أوغاريت"، وصلنا إلى الموقع مع غروب الشمس حيث كان يبعد الموقع مسافة بضع كيلومترات عن القرية التي نسكن فيها، كان منظر الغروب جميل يلونه ضوء الشمس المحمر المنعكس على أنقاض المدينة المهجورة التي لا تتعدى كونها بعض الأعمدة والجدران غير المسقوفة المبنية بأحجار كبيرة.
جلسنا على الأحجار قرب بوابة يرجح أنها كانت لمعبد قديم بينما كان يخبرني صديقي عن هوية سكان أصحاب هذه الأرض وأخبارهم:)

رواد: في البداية قال بعض المؤرخون أنه في غابرٍ من الزمان قبل إنشاء هذه المدينة بكثير أتت مجموعة من القبائل يرجحون أنها

قادمة من شبه الجزيرة العربية لتنتشر في أراضي بلاد الشام... لكن ومع ازدياد المكتشفات الأثرية أدى لإيجاد احتمالات أخرى لأصل هذه الأقوام والذي يمكن أن يعد استيطاناً محلياً منذ نشوء التجمعات البدائية الأولى، وأرى _ *إلى جانب الدراسات التي أظهرت مناخ هذه المنطقة منذ 10,000 سنة* _ أن هذه الأراضي كانت الأقدر والأصلح للعيش البشري والاستيطان والبناء. حيث تشتد الحرارة وتندر المياه مع الأراضي الخصبة جنوباً، وعلى العكس تنخفض الحرارة وتكثر الثلوج من هضبة الأناضول وما بعدها شمالاً مما يعطي استقراراً ملائماً لنشوء حضارة مستقرة بعيدة عن مخاطر طبيعية كثيرة قد تواجه حياة الناس (لا يعني أنها خالية تماماً من المخاطر)، ويدل على أنها _ *في البداية* _ لم تصل إلى هنا نتيجة الهجرة، حيث توفرت في هذه الأراضي المقومات المثالية للاستيطان وتضمنت عوامل جيدة للاستقرار والتطور، وبالتحديد السواحل والوديان الخصبة.... هذه التجمعات ظهرت على شكل قبائل ثم تحولت إلى مستوطناتٍ ومساكن لشعوب تمت تسميتهم بالساميين أو بالأحرى "شاميين"، يقول البعض أن أصل التسمية هو سام ابن النبي نوح عليه السلام، إلا أني قليلاً ما أعتبر ذكر الأساطير الأولية والأنبياء باعتبارهم أشخاصاً بل وأحمل تفسيرات متعددة لهم كأفكار وتجليات لأحداث معينة، لكني لا أنكر احتمال وجودهم، وفي ذلك أرجح أن التسمية مستمدة من الشمس أو السماء. إن الشمس أبهى مكون نال دهشة الإنسان واهتمامه، والذي جعل بظهوره اليومي من الإنسان البدائي

يرى فيها ولادة جديدة ليوم جديد وحياة جديدة ويعد أعظم حدث يشهده في ذلك الزمان فكانت تلك القدسية للشمس، حيث وعند استقرارهم وصدور أعمال موثقة منهم وُجدَ أنهم أطلقوا تسمية "شامو" أو "شامش" عليها وربما قد تكون أتت التسمية من لفظة "شمّ" أي السماء، وبهذا فإن "بلاد الشام" تعني إما بلاد الشمس أو بلاد السماء.

نُقِلت القصص والأخبار والمعتقدات في المجتمعات القديمة شفوياً لفترة كبيرة من الزمن ثم تم توثيقها وكتابتها على الألواح الطينية لاحقاً بصياغة أدبية وروائية، ومنذ أن ظهرت لنا واستطعنا قراءتها توصلنا إلى أن ظهور "شامش" لم يكن حدثاً عادياً لديهم ولا يتجسد في شروق الشمس فقط، حيث تم اعتباره رمز لبداية التجلي، وفيما وجدناه أنه ذُكِرَ في معتقدهم وجود عالم غير مادي سكنه النور والريح والفوضى _ *وقد يُقصَد بها "النَغم" أي الصوت، والفوضى ليست كمعناها الذي نفهمه نحن، فقد تعرض معناها لمؤثرات الحداثة، ويقصد بالفوضة: "العبثية"، التي يمكن أن تظهر فيها الحقيقة بتجليات مختلفة تماماً* _ إلى أن حدث و ظهرت هذه المكونات بشكل مادي على شكل زوج سماء وأرض (شمّ و دم)[i] أي روح وجسد[ii]، وظهر أول ابن مادي لهذا الحضور المزدوج وهو

[i] قارن بين التسمية "دم" التي أشارت إلى العالم المادي وليس بالمعنى الحرفي للأرض واسم "آدم" المذكور في عدة ديانات.

[ii] أصبحت فكرة الدلالة إلى الروح والجسد بالسماء والأرض مقبولة في دراسات معتقدات الشرق الأوسط وذلك تبعاً لورودها في سياقات دلت على ذلك كالنصوص الدينية والأساطير.

"شامش"، وهذا في الحقيقة مشابه جداً وبشكل غير متوقع لنظرية الأوتار الفائقة في الفيزياء، حيث وفقًا لنظرية الأوتار الفائقة، فإن اللبنات الأساسية للكون ليست جسيمات نقطية منفصلة عن بعضها بل أوتار فائقة الصغر تهتز بأنماط مختلفة، وهذه الاهتزازات تُنتج خصائص الجسيمات. الكون في جوهره مكوَّن من طاقة متذبذبة داخل حقول كمومية، ومن خلال التفاعلات بين هذه الاهتزازات ظهرت القوى والجسيمات الأساسية التي شكلت لاحقًا المادة، ثم النجوم والمجرات والعوالم التي نعرفها.
ويتجلى تصور الحضارات القديمة عن الكون تحديداً في الكلمات التالية: "يموه، هيولى الكون، أمواج البحر الأول الساكن، والتي هبت بريح من داخلها، فأنشأت كل شيء، وأصبحت زوجاً، روحٌ أم في السماء وجسدٌ حاضر للعالم".
وكأهم يشيرون إلى تلك اللبنات الجوهرية بالأم وبأن صورتها المرئية من العالم بالجسد...

بطرس: تختلف الأمور كثيراً عندما نقوم بالتفكير بهذه الطريقة، هل تعتقد أنهم كانوا يرمزون إلى أحداث معينة في معتقداتهم؟ حقاً.. تُرى كيف تشكلت المعتقدات الدينية بهذا الشكل التي هي عليه وهل يمكن أن تكون أفكاراً حول أمور غير التي وصلت لنا؟

رواد: من المعيب حقاً رؤية المؤرخين يصورون المجتمعات القديمة على أنهم يقومون بعبادة أي شيء يظهر لهم، بل إنهم

يتعبدون المعرفة المتجلية في كل مظهر لها، في النهاية الجاهل سيعبد ما لا يعرف والعالم سيعرف ما يعبد إن كان في أي زمان ومكان وإن انتمى إلى أي جماعة أو معتقد، إن فكرة الإله هي لفلسفة أكثر من كونها عبادة وبهذا يصبح الشكل الحقيقي للعبادة في التفكير والمعرفة والتبصّر، قد تأخذ موضع الحاجة لدى بعض الجماعات، حيث تنبع فكرة الإله من الحاجة لوجود حاكم قوي قادر على توفير الأمان. لكن كثيراً ما تجد أن فكرة الإله تمثل "العقل الكوني الفاضل" الإله الذي لا يمكن أن يتصل الإنسان به اتصال كلي، بل إنما ومع استمرار التفكر والتعلم تنكشف عنه الحجب شيئاً فشيئاً، ومع كل انكشاف لحجاب يتم ظهور حجاب آخر مختلف. والإنسان قد عجز عن الوصول إلى ذروة المعرفة والفضيلة وسيبقى عاجزاً. في الواقع لا أريد أن أقوم بربط المعتقدات القديمة مع النظريات العلمية ليبدو أنهم تقصدوا التوصل لها حقاً _*رغم أن هذا حدث بالفعل في كثير من الأحيان*[i]_ لكني أريد التنويه إلى أن مقصدهم قد يكون مختلفاً اختلافاً كلياً عن نظرتنا لمعتقداتهم كمجموعة أساطير خرافية، قد يشيرون إلى أمور حقاً يصعب تصورها ولا يمكن التعبير عنها سوى بالقصص والرمزيات والأشعار وأحياناً بالأساطير الخيالية.

---

[i] ابتكر المصريون القدماء أول طريقة لتحديد جنس المولود، كذلك أنشأ سكان الشرق الأوسط القديم أنظمة ري تستطيع العمل بكفاءة وفعالية تضاهي الأنظمة الحديثة، استطاعوا أيضاً التنبؤ بأحداث طبيعية وفلكية عدة اعتماداً على حساباتهم، وكل ذلك كان قبل ظهور العلم الحديث.

عندما ينشد الشاعر لن يلقي عليك بعض الكلمات ويشرحها، فيقول مثلاً:

دنَت الساعة وانشق القمر   عن غزالٍ صدَّ عني ونفرَ

لا يتحدث الشاعر هنا عن غزالٍ هرب منه بل عن محبوبته التي رفضته، ولم يحدث انشقاق القمر فعلياً لكن أراد الشاعر أن يشير بها إلى أن الحياة قد انتهت بالنسبة له، فقد ربطت الروايات الإسلامية حادثة انشقاق القمر بيوم القيامة وانتهاء الحياة، وهكذا فإن الأساطير والأشعار كتبت من وحي القصص والرمزيات والكنايات لتعبر عن المعاني الحقيقية للحياة والحكمة المتجلية في الأحداث. ويمكنك أن تجد دلائل عدة لكلامي ... كقصيدة الحب التي ألقاها بعل لعناة[i] والتي يقول فيها:

عندي قصة أسردها عليك . . . . إنها كلمة الشجر ووشوشة الحجر . . . .

همسة السماء إلى الأرض . . . . ونجوى البحار إلى النجوم.

هل يمكن لنا هنا أن نأخذ بمعناها الحرفي؟ بالتأكيد لا.. إضافة إلى أن اعتبارها كقصيدة حب بين طرفين ستختلف عندما تفهم حقيقة رمزية بعل ورمزية عناة، ليجسدوا فعلياً مخاطبة الوعي للنفس.
وخذ أيضاً مثالاً حيث يقول المصريين القدماء في ترنيمة للإلهة

---

[i] بعل وعناة هما شخصيتان من الميثولوجيا (الأساطير) الكنعانية يختص فيها بعل بالطقس والرياح والأرض، أما عناة فتختص بالصيد والحرب وهنا نرى تجسيداً للصفات الطبيعية الأصلية في بعل وأخرى تجسيداً للسلوك البشري بنزعته للإرادة في عناة.

إيزيس[i] "هي من تلد النهار" في وصفهم لهذا الكون كجسد المرأة الذي تبعث منه الحياة وأن الليل والنهار هما وليدة هذا العالم المادي والواقعي.

لذا لا يمكن تفسير النصوص سواء كانت الدينية أو المرويات التاريخية من دون أن نقوم باستلهام الحكمة منها. غايتها ودوافعها ومصدرها وحتى الأحداث والسياق المرتبط بها. هذا الكلام لن تجده عند أي مؤرخ يا بطرس، بل عند النخبة فقط ... عند العشاق. إنه خلاصة ما وجدت، لذلك أصغِ جيداً إلى ما سأقول.

إذاً.. ظهرت فكرة الإله التي تعبر عن عظمة غامضة أو معرفة مطلقة لا يمكن الوصول لها، والتي هي خارج قدرتنا على التصور لهذا هي إلهية بحد ذاتها، وقد مارستها الشعوب بمستويات مختلفة ومتباينة من العلم والمعرفة والتي وصلت إلى بعض المتمرسين البسطاء إلى حدود الأعراف والتقاليد فقط.

بطرس: ناهيك عن أن ترجمة وثائق وشواهد أثرية للغات منقرضة منذ القدم يجعل الترجمة معرضة بالتأكيد لمعضلات ومشاكل عدة، لا يمكن أن تقدم لنا تفسيراً دقيقاً مئة في المئة، أتفق معك في هذا الشأن، فهناك من يفسر تعدد الآَلهة لدى القدماء بأنهم كانوا يعتبروهم ملائكة أو أنبياء وليس آَلهة، وهناك البعض يرى أن حالة من الجهل التي أصابت الشعوب نتيجة الحروب أو الظروف الصعبة سببت انحراف في التوجهات والمعتقدات، وهناك من يرى

---

[i] باختصار إيزيس هي الكون، هي الوجود، زوجها بحسب الميثولوجيا المصرية أوزوريس وهو شخص البعث والتجدد.

أن المعتقدات نشأت أصلاً لسد فجوات الجهل لدى الإنسان من أجل الإجابة على الأسئلة التي لم يجد لها حل ... وسواء كانت تلك هي الأسباب أم لا فإن أجيالاً لاحقة سيتم تلقينها المعتقدات بشكل تقليدي وبائس مبتعدين عن حقيقتها ... لذا لنترك هذا الموضوع، أكمل في التعريف عن أوغاريت لي.

رواد: أحسنت يا بطرس، إذاً ... وبعد المزيد من الاستقرار الذي جلبه اكتشاف الزراعة وبناء المستوطنات تشكل نوع من الهوية العامة المشتركة لسكان هذه الأراضي، حيث توطنت بعض الأقوام في أوغاريت هنا في هذا الموقع، وبنوا الخيم والأكواخ ثم تطورت إلى منازل ومباني متنوعة ومنها المعابد، وبعد أن أقام السومريين أوّل حضارة معروفة بنظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي في منطقة جنوب العراق حالياً، حدث تطور كبير للعلوم وتم اختراع الكتابة وانتقالها إلى هنا عبر العلاقات التجارية والاجتماعية والسياسية، وفي الواقع حدثَ أول احتكاك قوي ساهم في انتشار العلوم بشكل سريع عندما قام السيد "سرجون الأكادي" بإنشاء أول امبراطورية تضم معظم أراضي العراق وسوريا الكبرى[i] إلى جانب بعض أراضي الأناضول، ساهم هذا في توحيد المعارف وسرعة انتشارها عبر هذه الأراضي (نتيجة الحاجة إلى توطيد نظام الحكم على كامل الدولة)، وقد ضمت أوغاريت العديد من الأقوام التي

---

[i] سوريا الكبرى: هي مجموع أراضي سوريا والأردن وفلسطين ولبنان.

قامت بتطوير ثقافتها الخاصة، العموريين (الأموريين)[i] والآراميين والعرب وأيضاً الفينيقيين الذين كانوا يمثلون الغالبية.

في الحقيقية الفينيق ليس الاسم حقيقي لذلك القوم، لكن جيرانهم ممن ذكروهم أطلقوا عليهم هذا الاسم نسبة للفينيكس والتي هي الصبغة الارجوانية التي كانوا يستخرجونها من المحار في موانئ أوغاريت فيكون معنى التسمية "الشعب الارجواني".

وهو أيضاً اسم طائر الفينيق الأسطوري، حيث تروي الأسطورة أن هناك طائراً يجدد ذاته بذاته وذلك من خلال التضحية بنفسه حرقاً ثم يُبعَث من جديد مشتعلاً من رماده.

بطرس: ها نحن أمام رمزية أخرى، ليس فقط أن الطائر ينبعث من رماده بل وأن تسميته كانت بالطائر الارجواني.

رواد: لا تتعجب في السبب بتسميته بالطائر الارجواني حيث أن اللون في التسمية لا يشير إلى لون ريشه أو لون جسده، اللون الارجواني يدل على الارتقاء والسمو، وذلك لأنه كان باهظ الثمن قديم الزمان، ولا يزال باهظ الثمن في المعنى كما دلت المكتشفات الحديثة، حيث أن هذا اللون يظهر كطيف لوني ذا تردد كبير، يعني أن موجته تبدو لطيفة أشبه بالتموج الناعم والانسيابي مما يدل على حالة من العمق والسلام والحب وهذه بذاتها صفات سامية بحق.

بطرس: ما الدلالات التي يمكن أن نستنتجها من ذلك؟

---

[i] كلا التسميتين مقبولتين، اللغات الشاملة لحرف "ع" ستنطقها كالأولى بينما بقية اللغات ستنطقها كالثانية.

رواد: في هذا الموضوع توصل العلم الحديث إلى أن هناك نشاطاً موجياً للدماغ[i]، يقوم الدماغ بإصدار ترددات تدل على حالة النشاط الخاصة به، وعندما يكون الإنسان في حالة تأمل عميق ومنعتق عن الشعور بحواسه المادية تصبح الأمواج الصادرة عن الدماغ ذات ترددات كبيرة تسمى أمواج "ديلتا"، ويوافق ترددها تردد يقترب لونه إلى اللون الارجواني، وهي بذلك تدل على البعد العميق للإنسان والذي لا يتم الوصول له إلا في حالة الولاء إلى الذات والابتعاد عن الضوضاء التي تجعل تركيزه على العالم الخارجي المحيط به (العودة للذات، أي استحضار الصفاء الخالص في النفس دون الإحساس بالعالم الخارجي).
بالطبع لا نجعل من الذات الفاضلة منزهة عن متاع الحياة، لكن الأهم أن تسعى في كسر تعلقها وارتباطها بأي شيء يكبلها ويقيد حريتها، وهذا ما ترتبط به مع طائر الفينيق... إن لم يفني الإنسان نفسه (تعلّقاته، قيوده، تكبره وغروره) لن يصل إلى التوهج والاشتعال، يجب أن يموت ليتذوق طعم الحياة.

لنكمل الآن، تميّز الفينيقيين بأنهم بحّارة مهرة وملّاحون بارعون، حيث طوروا وسائل ملاحة عبقرية، لا يمكن تصور أنها كانت موجودة في عصرهم. تخيل أنك في وسط البحر وليس من حولك سوى أميال وأميال من الماء، هل ستستطيع تحديد الوجهة إلى مرفأ كريت[ii] مثلاً؟ تخيل أنهم نادراً ما أخطأوا الوجهة المقصودة ومن

[i] ابحث عن (الأمواج الدماغية)
[ii] جزيرة إيطالية تقع في البحر المتوسط

أخطأ يوماً يكون ذلك بسبب كونه في طور التدريب، هذه هي فينيقيا ....

بطرس: (توقف رواد لحظة عن الكلام وهو ينظر إلى شمس الغروب، أزاح فجأةً برأسه وكأنه أدرك أمراً عجيباً واتجه بأنظاره نحو عمود مجاور، اقترب منه وبدأ النظر بتمعن إليه وإلى أحجاره، لم تكن الرسوم واضحة أبداً لكن وبفضل الإضاءة والتدقيق الجيد استطعنا رؤيتها، كانت على حجارته رسومات مثل طائر وشمس ونجمة، كانت النجمة تتوضع في أعلى موضع من العمود، بينما تتوضع الشمس في الحجر السفلي، ومجموعة الأحجار المرصوفة بينهما حملت رسوم لطائر يحمل بمنقاره باقة من السنابل التي اشتهرت فيها أوغاريت، ويشير اتجاهه نحو النجم... للحظة وعند ورود انعكاس لشعاع الشمس على النجم، تبين أن الأشعة انعكست توالياً على مجموعة من الأحجار، وبعد فحصها اكتشفنا أن الأحجار مكسيّة بمادة من الصمغ الذي تبلور عبر الزمن ليسبب هذا الانعكاس، واستمر الانعكاس عبر مجموعة من الأعمدة ليصل في النهاية إلى النجم، كان رواد يبتسم وقال لي حينها:)

رواد: أرأيت! هذه أنوار عيد الربيع[i]، ها قد ترتبت كل الظروف والأحداث والمواعيد منذ آلاف السنين لكي يحدث هذا الذي نراه في اليوم الذي أتينا به.

---

[i] عيد تقليدي قديم تمارسه مجموعة مختلفة من الأديان والقوميات كالعلويين والأكراد ومعظم الطرق الصوفية احتفالاً بقدوم الربيع، ويعد استمراراً لعيد تم الاحتفال فيه في الحضارات القديمة.

بطرس: (قام بعدها باتباع مصدر أول انعكاس، وعندما وجده استدار نحو العمود الذي يحمل صورة النجم، ثم سار بهذا الاتجاه حتى تجاوز العمود بنفس الاتجاه وهناك حلّت المفاجأة، حيث رأى مجموعة من السنابل ملقية في أحد المواقع وقال حينها:)

رواد: أتعلم ما سرّ قدوم هذه السنابل؟

بطرس: لا ما الذي أتى بها إلى هنا؟

رواد: الطير... لا تتعجب أن عائلة من الطيور كانت تربي أبناءها على هذا التقليد في عيد الربيع منذ أن علمها "تموز" ذلك حتى الآن، وعلى سبيل المثال لو أتيت بغراب وعلمته ذلك لاستمر هو في تعليم أبناءه، الغراب ذاكرته قوية ويحفظ التقاليد،

لقد أخبرتنا الحجارة أن طيراً يحمل بشارة الربيع وهي السنابل التي سيرميها هنا.
نتعجب في أيامنا هذه مصدر السنابل، حيث أن موسم الحصاد لم يأتي بعد، ويدل على ذلك أنها لا تزال خضراء. أما عن رمزيّتها تمثل السنابل تلك التي سيحملها "تموز" أحد الرموز المقدسة في هذه الحضارة، ويمشي بها ويبارك القادم إليه ممن عرفه وأفنى نفسه في سبيل هذه المعرفة، المعرفة التي ستجعل منه حياً، إنه يبحث عن طائر فينيق (يعني أن الطائر هنا يُقصَد به شخص) يقوم بكسر ال"أنا" وإفناءها في سبيل غاية عظيمة، سأخبرك معنى القصة يا بطرس، تشير النجمة إلى كوكب الزهرة والتي ترمز إلى عشتار سيدة الجمال والحب والطبيعة والأم الكونية، بينما تمثل الشمس

الحقيقة أي "الإله" الذي تُسَّبِح له كل الموجودات، أخيراً يمثل طائر الفينيق الشخص الذي خلع عن نفسه حجب الدنيا وملذاتها وكسر أنفة تكبره وتخلص من أثواب هذا العالم ولبس قمصاناً من نور، السنابل هي النفس الجديدة لذلك الشخص، إنها التي سيباركها "تموز" والذي يمكنك اعتباره كالروح القدس في المسيحية، فهو روح التطهير والتبرك ولهذا ارتبط بالربيع، حيث الربيع هو من يجدد الأرض من جديد ويلبسها الحلة الزاهية.

الآن ترجمة هذه الملحمة هي أن هناك معبداً عظيماً مدفون في مكان ما، حيث أن الشمس (الحقيقة) كما نُقِشَت على الحجر السفلي مدفونة، وطيراً يحمل السنابل يدل على مكانها، والحب هو طريق الوصول إليها، وهكذا عندما تحظى بالحب تتخلص من تعاسة التكبر والغرور وتمنح لنفسك قميصاً جديداً نظيفاً جاهزاً لرؤية الحقيقة.
إذاً هذا المعبد المدفون لا يمكن الوصول إليه إلّا من طريق واحد، هو طريق الحب، الحب الذي لن يأتي إلا إذا أزلت عن نفسك كل الشوائب والحجب والأوحال التي تعمي عيونك عن رؤية الحقيقة، ستجده فقط عندما تتطهر وتتقدس بروح التطهير، وأنا أقول لك هناك تحت هذه السنابل بئراً عميقاً، وهذا البئر سيوصلنا إلى مرادنا، لن أخبرك ما سنجده هناك بل وحُرِّمَ عليّ ذلك، وظيفتي أن أدلك إليه فقط وإن كنت تستحق ستستطيع رؤية ما سنجد.

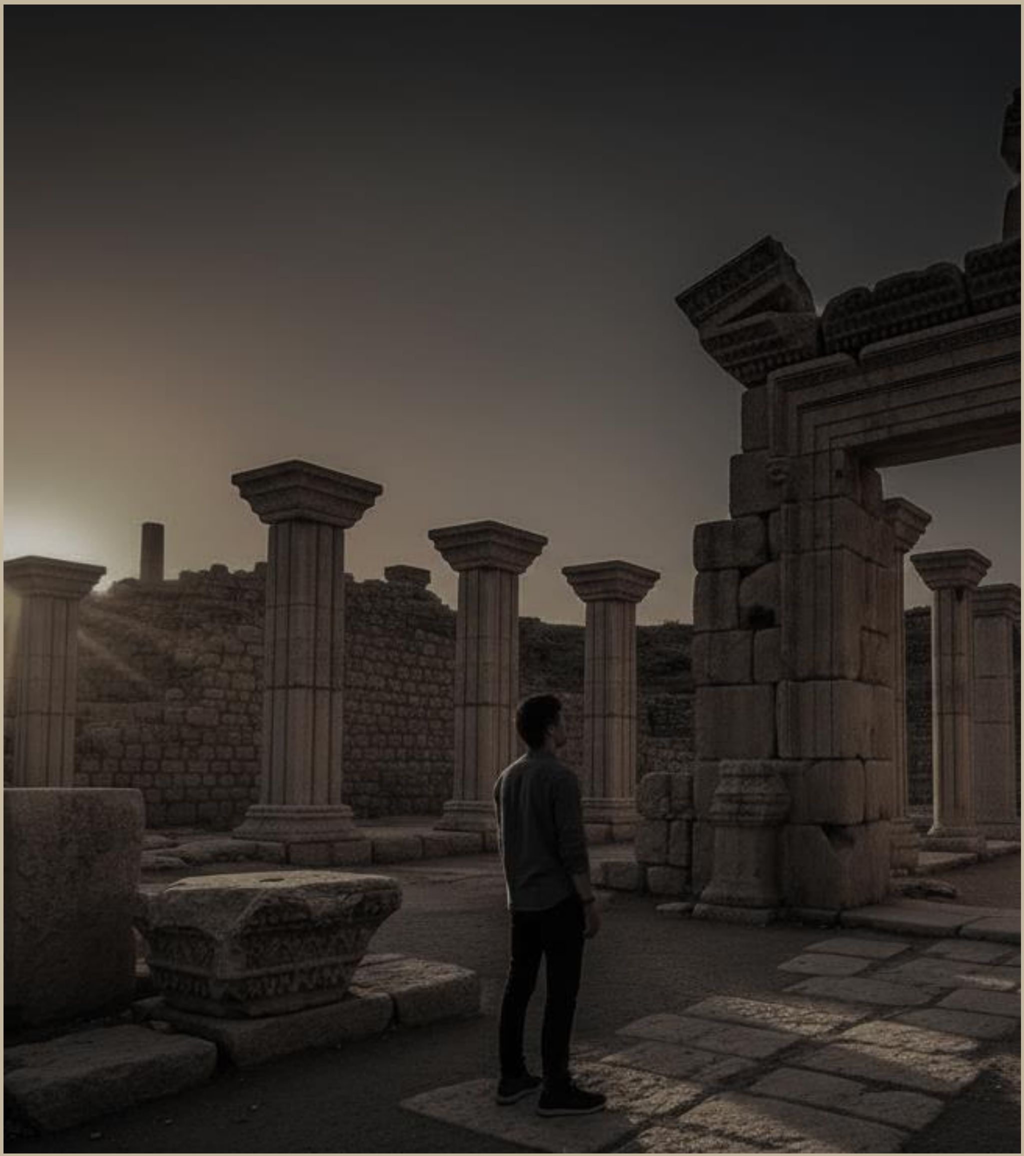
بطرس: هيا إذاً لنبدأ بنفض التراب والبحث عن هذا البئر.

رواد: ها قد بدأنا بالطمع يا بطرس، إن هذا لن يجعلك تجد شيءً، لقد قلت لك بكلمات واضحة: لن تستطيع إيجاد شيء مالم تزل هذه الحجب عن عينك والتي ستعميك إن أبقيتها، ثم وبماذا ستزيل التراب يا بطرس؟ أنحمل معنا مجرفة أو حتى عصا؟ ألم نأتِ مجرّدين من كل الأدوات؟ وهل كنّا سنكتشف ما وجدناه في حال جلبنا أدوات؟ يا بطرس ابق هذا في بالك، لن تصل لشيء مالم تستحقه، لذا حاول السعي لتستحقه بدل السعي للحصول عليه، الكثير يسعى لأن يأخذ ويحصل على ما يريد وعلى ما يشبع رغباته، لكن القلة هم الذين يسعون لجعل أنفسهم تستحق ما يرغبون به بدلاً من ذلك.

بطرس: قد قلتَ حسناً، ألهبني الحماس وجعلني اتجه لما هو يخالف نفسي، كان مجرد فضول يعكس حبي لمعرفة ما هو مدفون، لم أكن أقصد إظهار الطمع أنا أعتذر على ما سوَّلت لي نفسي.

(كانت الشمس قد غربت وبدأ الظلام ينتشر كجندٍ من السماء احتل المكان، وفجأة بدأت الأرض بالاهتزاز، كانت هذه الاهتزازات عادة ما تحدث في أراضي محافظة اللاذقية والتي لا تتجاوز الثلاث درجات ونصف الدرجة على مقياس ريختر، أي لا يتم الإحساس بها دائماً وغالباً ما تمضي دون معرفة حدوثها، جعلت هذه الاهتزازات طبقات التراب التي نقف أمامها تبدأ بالتكشف رويداً رويداً حتى بدأت ملامح لشيء ما بالظهور، نظرت إلى رواد وإذ رأيته ينظر بثبات إلى باقة السنابل ويقوم بترتيل شيءٍ ما وكأنها صلوات بلغة

قديمة، تحدث طنيناً غريب في الأرجاء وهكذا شيءً فشيء ظهر ما
كان مخبأ، أخيراً إنه .... يتبع.)



رواد
على لسان بطرس

بطرس: (مضت سنة على قدوم هذا الطالب الغريب إلى صفنا في الثاني الثانوي، فتى طويل القامة ملتزم باللباس المدرسي في الوقت الذي يشاع فيه عدم ارتداءه، يظهر بالقميص الأزرق المعتاد مسرّحاً شعره الشائك للخلف ويجلس بهدوء إلى جوار زميلاه بشكل انطوائي، كان قليل ما يحب النمط المعتاد من المزاح بين الرفاق بل وبدا قليل الانفتاح على بعض الممارسات، كان أكثر ما يميز هذا الشخص في المدرسة هو استقلالية أفكاره وآراءه والتي يصعب إيجاد وجهة لها، إنه لوحده يمثل مجموعة معتقدات لنفسه، فكان وكأنه جزيرة في محيط عارم، كل ما حوله يسبح مع التيار بينما يتمسك هو برماله ولا تنبس أن تطلق هذه الجزيرة العنان لأشجار ونباتات جديدة من الأفكار، قليلة هي احتكاكاته مع الآخرين فقط عند بعض أوقات ضجره يأتي لتبادل الحديث مع المجموعات الطلابية غير أن فمه لا يبرح أن يتفوه ببعض الكلمات معقباً على كل حديث، كان يُعرَف بمهاراته في حراسة المرمى عند لعبنا كرة القدم، فما كان يأبه

لقساوة الأرض وخشونة الأحجار منطلقاً في قفزاته نحو جانبي المرمى.
انتهت السنة الدراسية ولم تجمعني مع هذا الشخص أي لقاءات أو اجتماعات أو روابط قوية وقد بلغنا حينها السنة النهائية للمرحلة الثانوية وشاع أن يقوم الطلاب في هذه السنة بعدم الالتزام بالمدرسة وتحديد مسار الدراسة الخاص بهم من الدروس التي يتلقاها الطالب بشكل خاص أو الانضمام إلى مجموعات درسية، فتفرق طلاب الصف وما عدنا نلتقي سوى بزملاء الدراسة.

أتاح لي عدم الالتزام بالدوام الرسمي للمدرسة فرصة لممارس الرياضة الصباحية، هنا في بلدة القنجرة التي تتمتع بمحيطها المليء بالبساتين الزراعية كما تحوي العديد من المباني الدينية والتي تسمى "مقامات" أو "مزارات" حيث تعد دار عبادة بسيط تحوي داخلها ضريح لشخصية دينية بارزة أو نبي أو ولي صالح يقصدها الناس بغرض زيارة روحية لهذه الشخصية بهدف التبرك وطلب المغفرة والشفاعة أو قضاء الحوائج أو أداء مناسك دينية معينة، يقومون داخلها بتلاوة القدّاسات والنصوص الدينية ويؤدون صلاتهم وطاعاتهم. تشتهر هذه البلدة أيضاً بوجود سد بين تلتين بالاشتراك مع بلدتين مجاورتين هما (بكسا _ جناتا) يقوم بحبس بحيرة من المياه التي يستخدمها الناس في سقاية البساتين والأراضي الزراعية، فكان وجود طرق بين هذه الأراضي والبساتين أمراً مناسباً لممارسة رياضة الجري، وكان الطريق الذي أسلكه يبدأ من أطراف البلدة عند

مطعم سياحي مشهور في سوريا اسمه "مطعم الهرم" ومن ثمَّ يمتد الطريق ليدخل عمق الأراضي والبساتين ليصل في النهاية إلى السد.

وفي أحد الأيام وبينما كنت على هذا الطريق لمحت وجود شاب يجلس بين الأزهار والأشجار في أحد البساتين يقوم بقراءة كتاب، توجهت لمدة موجزة بالنظر إليه حتى تمكنت من معرفة هذا الشخص، لقد كان رواد، لم يلحظ مروري حيث كان بعيداً في عمق البستان.. ومن البديهي لأحد يتمتع برؤية انعكاس الشمس على العشب بين الثمار والأزهار وصوت المياه التي تعدو في الساقية بجانبه ألا يلحظ مروري بين الأشجار التي تغطي الطريق، تكررت رؤيتي له في مواقع مختلفة وعلى نفس الحال في قراءته للكتاب، وحتى إن حدث وتأخرت في الانطلاق أو كان موعد ذهابي عصراً أو عند الغروب كنت ألقاه في كل مرة وعلى نفس الحالة من الاندماج في القراءة.
إلى أن صادفته يوماً وهو يسير في الطريق الذي أسلكه، كان يقرأ بينما هو يمشي، لم يكن بيننا أكثر من التحية، غير أن ما يبدو عليه من الثناء على الأشخاص لطيفاً فما كان على لسانه غير الكلمات المفعمة بالمحبة.)

بطرس: مرحباً.

فيقول مبتسماً: يا أهلاً، أعطاك الله العافية والقوة.

بطرس: (ثم أتجازوه بمروري من جانبه، كان كثير الترديد لعبارات الثناء والتشجيع عند رؤيتي له مثل "بالقوة والبركة"، "ليكن طريقك مفتوحاً"، كانت هذه لحظات لطيفة يمكن أن تكون بداية لودٍّ بيننا قادم.)



استيقظت في أحد الأيام مبكراً وخرجت على فوري لسلوك الطريق المعتاد جرياً.. لم أجد رواد هذه المرة، فقلت في نفسي أن هذا بديهي فلا بد أن يكون له وقتاً يقضيه في المنزل فهذا ليس مكاناً للإقامة، قلت ذلك وسلكت الطريق إلى أن بلغت نهايته على ضفة السد ففوجئت برؤيتي لهذا المشهد الذي يروي مخاطبة رواد للطبيعة، هذه المرة وجدت رواد وكان مرتدياً زيّاً رياضياً مستلقٍ على العشب ويبدو أنه يلهث تعباً، متوجهاً نحو الشمس وصوت أنفاسه واضحة وكأنه سار كل هذا الطريق حاملاً شيءً ثقيلاً، سمعته يقوم بالدعاء أثناء التقاط أنفاسه ممجداً ومسبحاً وشاكراً للنعمة التي جعلته يأتي إلى هذا المكان ورؤية هذه المناظر البديعة، وكان يركز على جملة "ليكن ذكرك حيّاً في قلوبنا ولنحيا"، وما إن انتهى حتى قام بوثبة خفيفة أتى بعدها واقفاً متوجهاً نحوي، سألته بعد التحية عما يفعل فأجاب:)

رواد: صباحك جميل، اليوم عيد ميلادي، واعتدت أن أبدأه بالجري على طول الطريق، في يومي هذا أقوم بإفراغ كل أنفاسي علني أحصل على أنفاس جديدة، وعند الوصول أستلقي دقائقي الثلاث لالتقاط الأنفاس الجديدة، أتهيأ للولادة من جديد، ثم أبتدئ بالجري في طريق العودة لكن بحلّة جديدة،

برواد جديد، والآن قد التقطت أنفاساً جديدة وحان وقت الذهاب، ألقاك...

(بطرس: ثم انطلق مسرعاً مفعماً بالحيوية متقبلاً صباحه بابتسامة كبيرة، وخلال ثواني معدودة بدأ يتلاشى بعيداً بين الأشجار حتى اختفى...)

نحو الصداقة

(بطرس: مضت الأيام بعد تلك الحادثة وحصل أن التقيت به من جديد بين البساتين، وكالعادة كان جالساً بسلام مع الكتاب فوق الأعشاب الخضراء والتي تعكس بقليل من الصفار لون أشعة الشمس تحيط به الزهور وثمار الحمضيات الناضجة من الأشجار حوله، انجذبت كثيراً لهذا العالم الجميل الذي يعيشه هذا الشخص.)

بطرس: كيف الحال يا رواد

رواد: بخير أهلاً بك.

بطرس: قد كثرت رؤيتي لك في هذه الأرض أتملك أي من هذه الأراضي؟

رواد: لا يا بطرس، برغم أنه ليس لدي ملكية لأي من هذه الأراضي إلا أني أكثر من يتنعم بجمالها وطبيعتها الحقيقية، أبقى هنا ساعات طويلة...

في هذا العالم الذي نعيشه لا أجد مكاناً جيداً للدراسة أكثر من طبيعته الحقيقية مبتعداً عما يبتدعه البشر.

بطرس: لابد أن هذا يتعبك، أليس معك ما تأكله أو تشربه حتى تمكث هذا الوقت الطويل؟!

رواد: هذا لا يتعب في الحقيقة، ما يتعبني هو ذاك الضجيج هناك، أنا لست مستعداً بعد لمحاربة ذاك الضجيج بالقوة الكافية لذلك أنعم هنا في الحياة.
آكل وأشرب عندما أعود أما هنا فأنا لست بحاجة إلى شيء، بل وحتى إن حدث وأصِبتُ بشيء من الجوع فحولي يقبع ما لا يمكن إيجاده في أي مطبخ، إن أصحاب البساتين هنا يدخلون ويخرجون منها ولسانهم يخاطبني دوماً ويقول: إن "بستاني مفتوحٌ لك أيها الشاب خذ منه ما تريد، وفقك الله وكتب لك النجاح".
هذه الكلمات والمباركات هي التي تشبعني يا بطرس، لقد أعطوني ما هو أثمن من الطعام والشراب بكثير، لقد أعطوني الحب، أرأيتَ شخصاً من قبل استطاع الحصول على ملكية كل هذه الأراضي دون أن يدفع حتى ليرة[i] واحدة!، ذلك لأن هذا الشخص استطاع أن يملكهم بقلبه، هو لم يقايض أي شيء مقابل تلك الأراضي، هو فقط استحقها.

---

[i] العملة السورية

هذا لن أجده هناك حيث السيارات والشوارع المزدحمة وأحاديث الجيران وغيرها من الأصوات حولك في كل مكان، كل تلك المشوشات تعيقك عن سماع صوت الحقيقة، ولست مستعداً بعد لمجابهة تلك الأصوات دون تأثيرها علي.

بطرس: لكن لا تزال الفترة التي تقضيها هنا طويلة، ألا تتعب حقاً؟

رواد: في الواقع إني أشكر الدراسة كثيراً أنها جعلتني أحظى بهذا المكان، كانت هي المنقذ الحقيقي الذي ساعدني على دخول هذا العالم، أنت تعلم أننا في هذا السنة يعفينا المجتمع الذي يحيط بنا من الكثير من الالتزامات رغبةً منهم في ألا نلتهي عن الدراسة وتحصيل الدرجات الجيدة في المدرسة، لقد ساعدتني الدراسة لرمي الأثقال كلها عني، لم أتوقع أنني سأحب الدراسة إلى هذه الدرجة، لقد كانت فرصتي لأجد فيها نفسي. لم أكن من قبل ذا علامات جيدة ولم تكن تأتيني أي رغبة بقراءة كتاب، ولكن بعد المضي في هذا الطريق، وجدت في كتبنا ما هو أكثر من مجرد أوراق يا بطرس، لقد وجدت رواد.

بطرس: (وما أن انتهى من الحديث حتى ودعته وذهبت في طريقي كي لا أطيل فترة سكوني ويبدأ جسدي بالفتور.
"أحببت ما يقوم به رواد" قلت هذا في نفسي وعلى جدران خاطري انطبع مشهد رؤية رواد في تلك الصورة التي رأيته فيها بين الطبيعة وتحت نور الشمس وفي عوالم الحقيقة، سأقوم

بمرافقته والدراسة إلى جانبه، نعم أرى أن هذا العالم سيساعدني أيضاً على إيجاد نفسي.

وهكذا بعد أن اتخذت هذا القرار حتى أصبحت ألتقي معه هناك ووجدت صداقتنا بئراً تشرب منه وفي كل مرة نلتقي ازداد البئر فيضاً من الماء وازداد عمقاً في القاع.)

حوارات العوالم

(بطرس: ومضت الأيام واجتزنا مرحلة الشهادة الثانوية بنجاح كبير، فقد حصل كلانا على معدل 92%، لكن لم يكن هذا إلا ثمرة جهدنا في الدراسة أما النجاح الحقيقي فهو كنز الصداقة هذا الذي فزنا به.

دخل كلانا كلية الهندسة المعلوماتية، وتلازمنا وكثرت لقاءاتنا والتي أظهرت الكثير مما كان مخبأً داخل رواد، فتناولت هذه اللقاءات العديد من الموائد ذات الأطعمة الفكرية والعلمية المتنوعة، كان رواد يحب جميع نواحي العلوم ويمتلك شغفاً في الرياضيات والفيزياء والفلك والفلسفة والتاريخ والميثولوجيا، ويمكن أن ترى عينيه تطلق صرخات الجوع لتعلم كل شيء، كان قليل النوم، حيث ما كنتُ أكلمه في وقت إلا وأجده صاحياً بل وغالباً ما كان يرسل لي نتائج قام باكتشافها، أو شعراً كان يكتبه، أو دعاءٌ لي.. أستيقظ لأجدها على هاتفي وتوقيت إرسالها يكون بداية الصباح في الواحدة أو

الثانية، أو في وقت السَحر أو الفجر، كان يهتم لرسم الابتسامة في وجه من يحبهم عبر هذه الرسائل.

أذكر أول لقاء اجتمعنا فيه هناك على السد حيث اتفقنا على أن نلتقي هناك، وقمنا بجلب بعض العصائر مع مجموعة من الطيبات تتمثل في المكسرات والحلويات وبعض البسكويت، هنا دهشتُ في لحظة صامتة عندما نظرت لكمية الحلوى التي يستطيع رواد تناولها، لقد قام حينها بتناول كمية كبيرة منها فوجدته ينظر إلي ويخبرني عن حبه العميق للحلوى والبسكويت، إلا أنه عند النظر نحوه لا يبدو عليه أي من علامات محبي السكريات، فقد كان نحيلاً وطويلاً ونشيطاً، ربما بسبب كثرة ممارسته للرياضة وازدياد حركته ونشاطه على مدار الساعة.
وبرحنا هناك نتأمل المياه في جريانه ودار بيننا أول حوار، حيث بادرته بالاستفسار عن رأيه:)

بطرس: نتكلم كثيراً عن الروح يا رواد، لكن ما دليلك على وجودها، هل هي كما يقول الدين أنها تسكن الجسد؟ لقد أدى ظهور علم النفس إلى عدم الاقتناع بفكرة وجود روح.

قام بوثبة خفيفة وأتى واقفاً مشيراً بيديه نحو السماء:

رواد: في نفس الوقت الذي يبتعد فيه علماء ومفكرين هذا العصر عن فكرة وجود الروح وينكرون وجودها أحياناً، هم في الحقيقة لا يستطيعون إثبات عدم وجودها... انظر يا بطرس

لا تأخذ الدين بشكلٍ حرفيّ... إن الأديان عبر العصور بدءً بملحمة جلجامش وملاحم هوميروس وصولاً إلى أدياننا الحديثة لا يمكن أخذها بشكل حرفي، إن الكلمات قاصرة عن التعبير عن الحقائق، إنها مجرد أدوات وسنتحدث في ذلك لاحقاً، أما ما أريد قوله الآَن هو أن النصوص الدينية تنتمي لعالم المطلق، لا يمكنك تفسيرها وفق نظرتك لها بل عليك أن تكشف عنها الحجب واحداً تلو الآّخر، إنها لغة للمعاني يا بطرس، لا تتمسك كثيراً في قول "تسكن جسدناً" إلا إن قمت بتوسيع أفق تفكيرك، انظر إلى الأساطير والملاحم والآيات والنصوص تجدهم مشبعين بالقصص والأمثال والشعر والتشابيه لأن الغاية منهم هو نقل المعنى، التعبير عن الحكمة، أن يتفكر الإنسان وأن يطرح الأسئلة التي تحثه على إيجاد نفسه.

كلما اتسعَت معرفة الفرد تدفعه للتوصل لتفسير وفهم مختلف تماماً لتلك النصوص، هذا لأنها تعكس دوافع ونوايا الفرد ومستوى قدراته العقلية، تلك النصوص مجرد مرآة يا بطرس، إن كل ما تعتقده حولها ينطوي تحت طبيعة فهمك ومعرفتك والأهم دوافعك ونواياك، لا تركز جلّ اهتمامك عل تفسير جملة "تسكن الجسد"، قد تسكن الجسد فعلاً لكن بطريقة مختلفة عما نفهمه من كلمة "سَكن".

أي لا يشترط أن يكون المعنى "تنحسر داخله"، ولا أن يكون "الجسد يتسع لها" كذلك، هل نفسر السكن هنا على أنه

احتواء داخلي؟ كالذي يعنيه "يسكن في بيت" مثلاً، أم يُقصَد بالسكن حيث الارتباط؟ أي أنها تعني متعلقة بالجسد ومتمسكة به، أو أننا يمكننا تفسيرها على أن الجسد محطة للغذاء والراحة والنمو وبذلك يمثل نقطة مرحلية للنضج والاتصال إلى حين تحقيق النفس لذاتها... معقول أليس كذلك؟ وشتان بين الذي يفسر المعنى كالأولى وبين من يفسرها كالأخيرة، لذا دع الكلمات تتحدث وغص بالمعاني يا بطرس.

بطرس: صحيح إننا حتى عندما نسأل نكون قد أخطأنا الإصابة بالكلمات، وحتى صياغتنا للتعابير والجمل قد تكون مخالفة لما نعتقده في الحقيقة ولا ننتبه لذلك، بل وأيضاً قد لا نعرف المصدر الذي جعلنا نبني سؤالنا بهذه الطريقة.

رواد: تماماً هو كذلك يا بطرس ... أما عن فكرة الروح ومعقولية وجودها فقد قامت الفيزياء الحديثة بشرح وتبسيط فكرة تجسيدها لنا، فقد أعطت دلائل لعدة مفاهيم متعلقة بالروح، كوحدة كل الأشياء، وأن العالم ليس إلى مظهراً لعالم يفوق نطاق إدراكنا الحسي، إضافة لوجود مجالات غير مرئية بالنسبة لنا، وقد تعطينا تصوراً يقترب بعض الشيء لحقيقة الروح. فقد بتنا نجد في الفيزياء معادلات غير قادرين على تجسيدها في نطاق العوالم التي نستطيع إدراكها، معادلات تنتمي لعالمٍ يقوم بتصوره العلماء في مخيلاتهم أو باستخدام وسائل مساعدة كأجهزة الرصد والتفاعل... لقد برهنت

الفيزياء أن المادة ما هي إلا شكل من أشكال الطاقة أو الشكل الكثيف منها ربما إن صح التعبير، استنتج آينشتاين _ *وربما سبقه فلاسفة كثيرون* _ أنه في حال وصول الجسم لسرعة تساوي سرعة الضوء فإن الزمن يتباطأ حتى يصبح أبدياً، وتصبح الكتلة لا نهائية، ولكنها لا تبقى مادية، أي تتحول لكيان أزلي أبدي يغمر الكون كله وتصبح حينها الكتلة غير ملموسة بل وكالنور تتخلخل في كل شيء، أليست هذه روح يا بطرس؟

انظر لأشعة الشمس هل تعرف أنها في حالات من التفاعل يمكن أن نجعل جسيمات صغيرة مادية تنبثق منها؟ ألا يظهر ذلك الحدث وكأن جسماً ظهر فجأة في هذا العالم بدون مسبب؟ غير أن هناك سبب وهناك طاقة كانت موجودة فعلاً والفرق الوحيد أنها تحولت لشكل آخر، شكل مادي. لا يعني أن الضوء في هذه المنطقة أصبح جسداً بل أصبح له هيئة مادية يظهر بها.

الضوء هو موجة وهي لا تنتمي إلى عالمنا هذا يا بطرس إنها في عوالم لا يسعنا تصورها في أدواتنا الحسية، هاك أيضاً حقيقة تقول أن العين البشرية تستطيع تمييز الأضواء ذات الأطوال الموجية في المجال 400_700 نانومتر، كذلك تسمع أذن البشر الأصوات ذات الترددات الموجية في المجال 20_20000 Hz، معنى ذلك أن نطاق إدراكنا محدود بهذه القدرة، هناك من الأشياء الكثيرة التي قد تكون منتشرة في كل

مكان ولكننا لا نستطيع رؤيتها، وأصوات كثيرة قد تحيط بنا ولكننا نعجز عن سماعها، بل وفوق ذلك نقوم بفرض انطباعنا على العالم، حيث أن العالم لا يظهر بألوانه الحقيقية بل إننا نراه ملوناً وفق إدراك أعيننا للضوء وهي من تقوم بتلوينه، نحن من نطلق المقاييس على ما حولنا كي نستطيع إدراكه وفهمه، لكننا ننسى أن كل نتائج هذه العملية تأتي مما نستطيع التوصل إليه واستنتاجه وليس من حقيقته بذاتها.

بطرس: ربما نكون نحن من خلقنا هذا العالم وهو ربما ليس موجود أليس كذلك! ... لا نعلم هنا فعلاً كما قلت تسكت الكلمات، لقد أضأت لي الآن العديد من الأفكار، لقد خطر ببالي _ *عندما تكلمت عن انطباعات الألوان التي نطلقها على العالم* _ فكرة مرض عمى الألوان، لا يمكننا القول إن كنا نحن من نرى الألوان بشكل صحيح أو أنه هو من يراها كذلك، ما يمكننا قوله فقط أن أعيننا أعطت هذا النموذج من الألوان لما حولنا وعينيه أعطت ذاك، لقد تلاشت الأشياء التي كنا نقول عنها "حقائق" ليتضح أننا نتمسك "بما نعتقده هن الشيء" وليس حقيقته.

رواد: نعم انظر كيف أن الروح تلبس قميصاً بشرياً في هذا العالم، انتبه إلى أننا لا نقول عن الروح أنها منفصلة عن الجسد بل نقول أن ما يظهر من الروح في عالم محدود الزمان والمكان هو الجسد، انظر إلى أننا عندما نرى شخصاً لا يعني أننا نرى حقيقته بل إننا نراه وفق قدرتنا على النظر إليه،

ونسمع فقط ما نستطيع سماعه منه، ربما لو كان نطاق رؤيتنا أكبر من ذلك لرأينا أموراً مختلفة تماماً عما رأيناه، نحن نتعامل مع العالم وفق مقاساتنا يا بطرس لا ندرك حقيقته بل إنما ندرك ما نستطيع الوصول إليه فقط، قد يكون كل ما قام علم النفس بملاحظته من تغييرات في العوامل الهرمونية والفيزيولوجية والعقلية ليست إلا الشكل الظاهري في هذا العالم للتغيرات الحقيقية، هذا يعني بوجود عوالم غيبية كثيرة لا يمكن إدراكها بأدواتنا الحسية، هذه العوالم لا يمكن زيارتها إلا بالعقل، إنه الأداة الوحيدة التي لا حدود لها، وتستطيع من خلاله تصور أي شيء في أي عالم بقدر ما نستطيع الاهتمام به وبتوسيع حدوده المعرفية.

هناك غيرها الكثير من البراهين التي فسرت وجود روح، لكن يعتمد ذلك على تحديد مفهومك للروح.

بطرس: دعنا نتناول تلك البراهين الأخرى لا بأس، فهنا لا يجب أن نكتفي بمجموعة محدودة من الأفكار، دعنا نحصد ما استطعنا منها، واذخر علينا بها.

رواد: لك ذلك، أتذكر ما هي الوظائف الحية التي ذكرت في دروس مادة علم الأحياء؟

بطرس: نعم، إن الكائن الحي هو الكائن الذي يستطيع القيام بمجموعة من الوظائف التي هي التنفس، التكاثر، التغذية، النمو، الاستجابة للمؤثرات، الحركة، الإطراح.

رواد: هذا ما يقولوه علماء البيولوجيا، هل تعلم يا بطرس أن الفيروسات تصنف بشكل مستقل عن الكائنات الحية وذلك يعود لعدم قيامها بعدة وظائف حيوية كالغذاء والتنفس، انظر إلى أن العلماء لم يعتبروها كائنات حية علماً أنها قد تتكاثر وتتزايد أو قد تقوم بوظائف بيولوجية متنوعة، إن دلَّ هذا على شيء فهو أن المسميات ليست أكثر من مجرد كلمات ذات مقاييس محدودة، إنهم وضعوا قواعد ليطلق عليك تسمية "حي"، اقترنت بصفات وليس بمعنى أو موضوع، أصبحت الصفة تمتلك معايير وقياسات، وابتعدت عن فكرة الروح والجسد، في هذه الحالة إن صممنا آلة تقوم بهذه الوظائف فسنعتبرها حية إذاً، ولكن هل تستطيع هذه الآلة العمل بدون الكهرباء؟ إن الكهرباء وبشكل غير مباشر المعلل الرئيسي لجعل الآلة تستطيع القيام بكل ذلك هي ما يمكن اعتبارها روح الآلة.

بطرس: أصبحنا نضع حجاباتنا على كل شيء حولنا كي نستطيع دراسته، قد لا يكون أمراً ضاراً تماماً لكنه يجعلنا كبشر نتجاهل التفكير خارج هذه الأطر والقواعد...

رواد: هذا ما أريد إيصاله يا بطرس، لقد أصبحت لفظة "حي" كلمة تعبر عن مجموعة من الوظائف وليس أمراً يتعلق بمعاني مرتبطة بالروح أو الفهم أو العقلانية، هذا النمط من الكلام يغيّر من طريقة فهمنا ودراستنا لما حولنا وطريقة التعبير عنها.

الآَن أريدك أن تتمعن في الخلية يا بطرس، ترى ما الذي يجعلها تقوم بوظائفها؟ يعتمد عمل كل مكوناتها وأعضائها على مقدار ما تمتلكه من طاقة للقيام بأدوارها، هذه الطاقة هي المحرك الأساسي لكل العمليات الحيوية، إن عملية التنفس والتغذية هي ليست أكثر من عملية تعويض للطاقة المفقودة جراء تأدية المهام، وفي الحقيقة حتى هذا التعبير يعد قاصراً، فلا يوجد هناك طاقة يتم فقدانها وطاقة يتم اكتسابها بل إن الغذاء يتم استهلاكه للحصول على طاقة (يتحول إلى طاقة) والطاقة تقوم بالتحول إلى حرارة لازمة أو جهد مطلوب، لذا العملية هي تحول من شكل إلى آخر، ويتبيّن أن الحدث الوحيد المميز للخلية هي أنها مجرد جسر لمرور هذه الطاقة، هي محطة عبور مرحلية لهذه الطاقة عبر سلسلة من التحولات، إنها شكلٌ مؤقت للطاقة ليس إلا.

بطرس: لقد قرأت أمراً مشابهاً لهذا... عندما كان يفكر أفلاطون بالعالم من حوله، وجد أن التغيير والتحول هو حقيقة موجودة في هذه الحياة، فمثلاً الكائنات التي نراها تكبر وتنمو، ثم تموت، المنزل قبل أن يبنى كان مجرد حجارة، ثم أصبح منزلاً ثم مع الزمن يتهدم ويختفى، كذلك الشجرة، تكون بذرة ثم تصبح برعماً صغيراً ثم تتحول إلى شجرة كبيرة.. إلخ من التغييرات، فيقول فيها أن ما نراه هو ليس حقيقة، بل هي الحالة الحالية المؤقتة منها، هذا يدعوا للتفكير بشكل أعمق، وأكثر توسعاً... هل ترى هذه هي الروح المقصودة؟

رواد: لأفلاطون المعلم كل السلام ... ربما... لا أفضل القول أن هناك أمراً محدداً يجب أن يكون المعنى المقصود، يمكنك حتى أن تغض النظر عن هذه النقطة أيضاً وسنتحدث عن نقطة مختلفة.... أنت تعلم يا بطرس أن كل صفات الخلية من شكل وحجم ووظائف ومهام وطريقة تشكل الأعضاء والأنزيمات وكل ذلك مكتوبٌ ومسجل بشكل دقيق وشامل بشكل شيفرة على خيط ال "DNA" هل تعلم أنه في حال زوال الخلية واندثارها من هذا العالم فإن هذا الخيط قادر (في حال توفرت ظروف مناسبة) أن يعيد إنشاء الخلية من جديد وإعادة تشكيل الكائن الحي، انظر إلى كمية تمسكه في هذا العالم يا بطرس، انظر إلى كمية الأنانية التي قامت بتشكيل هذا العالم، إنها سحر الأنا يا بطرس، الأنا التي تحمل استخدامين متعاكسين تماماً، هناك "أنا" التي إن وجدت وُجد كل شيء آخر وهناك "أنا" أخرى تقوم بالتخلص وإقصاء كل شيء آخر، الأولى جوهرية تماماً أما الثانية فصورية[i] تماماً.

الروح يمكن أن تكون المعنى الذي تحمله تلك الشفرة، رسالة غير مرئية أصرّت على أن تأتي وتنبثق لهذا العالم. تحمل هذه الشيفرة كل الصفات التي سوف تظهر بها الخلايا، نحن لا نعلم الشكل الذي كانت به قبل ظهورها، ولا نعلم الشكل الذي ستصبح عليه بعد مغادرتها لعالمنا، لا يمكن حصر هذه الروح في نقطة ما من هذا العالم حيث أنها آتية من خارجه

[i] صورية، من كلمة "صورة"، تدل الكلمة في هذا السياق على أنها شيء مدرك في العالم الحسي.

أصلاً فلا يمكن أن يتسع لها هذا العالم وإنما يشاء أن تتخذ سلوكاً معيناً يجعل من إرادتها محصورة في أحد الأشكال الظاهرة في هذا العالم (يصبح لها أنا جزئية).

عندما تتبع إرادتها مصالح الجزء الظاهري منها فقط تصبح الأنا فردية ومنفصلة وتعامل نفسها ككيان مستقل عن كل شيء، يملأها الرغبات والنزعات، بينما في حال كانت إرادتها متفقة مع إرادة كل ما حولها تتحول الأنا لأنا جوهرية كلية، الأنا هنا لا تعبر عن مصلحة الفرد بل الكل.

بطرس: بدأت الأفكار لدي بالتزاحم، لم أفكر بأمور متنوعة ومختلفة حول شيء واحد إلى هذه الدرجة، هذا يقودنا حقاً إلى شكل يجعل من أفكارنا التقليدية مجرد ترهات، إن كان ولا بد أن تضحك على الأفكار المحدودة التي يعيش فيها الإنسان، إننا الآن ندرك أنه لا داعي لأن تكون أفكارك صحيحة أم لا، لكن الأهم ألّا تكون محدودة، أن تتسع لأشياء كثيرة ومتنوعة، وتكون قابلة للتجدد والتطور.

رواد: هذا جوهر عقيدة الفكر يا بطرس، أتريد مزيداً من التنوع؟ لنأخذ موضوع جميل آخر يرتبط بطريقة ما مع ما نتكلم عنه، يؤثر ازدياد التكبر والغرور بشكل كبير على حياة الفرد، بحيث يجعل من آلية عمل الدماغ مكرسة لإثارة انفعالات كالغضب والغيرة التي يتم إنتاجها كردود أفعال طبيعية تجاه الخطر والتهديد الذي يصيب كيان الفرد.

أمرٌ طبيعي، تجعلك الأنا ترى نفسك ككيان مستقل عن الآخر وبالتالي وجود الآخر قد يكون تهديداً لك في بعض الأوقات، ترى أن مصلحته لا تتماشى مع مصلحتك، وقد ترى ظهوره يمثل تهديداً لك في كثير من المحطات مما يستدعي قلقك وتوترك ومزيد من الغضب والانفعالات.

هذه الحالات من الغضب والانفعال التي تمارسها كرد فعل تجاه أي تهديد تظهر على شكل موجات ترددها كبير صادرة عن الدماغ، التردد كبير يشير إلى أن الدماغ في حالة النشاط والتركيز (ويعتبر الغضب أقصى حالات النشاط) بينما يشير التردد الصغير إلى أن الدماغ في حالة صفاء ونقاء، هذا الموضوع يعطينا تصوراً عن معنى الارتقاء إلى مكامن الروح، هناك حقاً فوائد لمجموعة من الممارسات الروحية كالتأمل والصلاة والخلوة، حيث أنها ممارسات تساعد على إعادة التوازن في النشاط الدماغي، وتساعد حلى تحسين الحالة النفسية، هذا يدعونا للتفكير في أن الروح قد تشير إلى هذه الحالة الموجية والنفسية للإنسان، والتي نجعلها ترتقي بالتأمل والتعلم والصلاة [i] والسلوكيات الجيدة بينما على العكس مع السلوكيات السيئة كالغضب وأفعال الانتقام والرغبة بالأذى والاضطرابات النفسية، نرى هنا أن الموجات ذات التردد الكبير (طول موجي صغير يقترب للون الأحمر) تترافق مع

[i] وجب التنويه إلى أنه ليس كل من يصلي يصل لحالة من السلام، فلا نقصد بالصلاة هنا كمجرد أذكار وحركات لتأدية طقس ما، بل حالة من السلام الداخلي والاتصال المتزن مع الذات.

أفعال المصلحة الشخصية (الأنا الفردية)، بينما الموجات ذات التردد الصغير (طول موجي كبير يقترب للون الارجواني) تترافق مع التصالح النفسي والجسدي والسلام مع كل شيء (الأنا الجوهرية).

(بطرس: صمت رواد قليلاً، التقط نفساً عميقاً ثم أكمل:)

رواد: لا أريد الدخول للتعمق في الطبيعة الموجية للدماغ، ولن أستمر في الأخذ بجوانب عدة لفكرة الروح، لكن ما أعلمه وسيعلمه الجميع أن الوجود واحد يا بطرس، نحن مجرد أشكال أو انطباعات في هذا العالم، بعض الأشكال مغلقة ومتزمتة على نفسها وبعض الأشكال الأخرى تكون جسوراً. لا يمكن الخروج من هذا الشكل ما لم تفنى إرادتنا وتتحد مع إرادة الكل، هذه روح الله.. هذه الروح القدس، هذه الطبيعة اللاهوتية للعالم، "تخلص من التمسك في شكلٍ مستقل عن حقيقتك"، هذه هي الحياة التي أجدها، وهكذا أجد صفة "حي" ولذلك فإنه _ *وفق تفسيري* _ نجد أن الكثير من الناس والكائنات الأخرى لا تعتبر حيّة بل مجرد حالات مؤقتة.

الحي هو من يمتلك ضميراً صاحياً، مصلحته من مصلحة الكل الكونية، وليست أنانية فردية، إنه لا ينحصر في شكل، لأنه يعرف. العارف لا يتمسك في إرادته، لأنه يعرف بعدم وجودها أصلاً بل بوجود إرادة كلية ولذلك يستطيع أن يكون الشجرة التي ينظر إليها أو الوردة التي يشم رائحتها أو النور الذي يسطع

على الأرض. بينما من يتعبد رغباته وإرادته الفردية فهو جاهل يظن أن هذا هو عالمه، ويتناسى حقيقته وهو بذلك ليس حي، إنه لا ينتمي للمطلق، إنه فانٍ، تنتهي إرادته عند موته، بينما العارف لا يموت، المعرفة هي الخلاص يا بطرس، إنها الروح القدوس التي نتعمّد بها ونفتح بها أبواب العوالم.

بطرس: حقٌ هو ما قلته يا رواد، لقد قالت الفيزياء بأحد احتمالاتها عن نشوء الكون أن هناك موجة وحيدة فقط، وما ظهر من عوالم مادية وغير مادية هي نتيجة انشطارها، ولا يعني انشطارها أنهم انفصلوا عنها بل أصبح لهم نغمتهم المختلفة قليلاً عن الموجة الأصل، وهكذا بدأت تكثر الانشطارات، قد لا يكون "آَدم" الذي نعرفه مختلفاً عن أول موجة منشطرة، قد تكون حادثة قتل قابيل لهابيل هي ازدياد ضجيج موجة قابيل، أي إشارة إلى طغيان الأنا الفردية على الكلية (قتل الجزء النقي من النفس)، الانفصال عن الجوهر الذي يجمعنا والتمسك في المصلحة الفردية، هذا هو العالم الدوني، لا يعد العالم المادي دونياً، ما يقصد بالدونية هو التمسك بالأنانية الفردية، بينما هابيل الصالح لم يكن يأبه لمصلحته الفردية الجزئية، لأنه يعلم أنه حاضرٌ وموجود، لا يحتاج لهيئة مادية تثبت وجوده، إنه حر.
اييه يا رواد يبدو أن المعرفة حقاً روحُ قدسٍ لنا، المعرفة تكسر لنا كل الحدود، في المعرفة نتخلص من قيود الفكر والكلمات، نصبح أحياء في المعاني، يبدو أن هذا سبب عدم الفهم

الحقيقي للحب، يقبع الحب في الاتحاد مع الكل، لا يعرف الحب إرادة انفرادية، ويبدو أن المعرفة هي الطريق للحب فعلاً، وحيث نصل للحب يصبح لنا في لغة المعاني أسرار، فلذلك أعطني الناي وغني فالغنى سر الوجود، صدق من قال ذلك.



(ثم تلاشى كل شيء من بعدها وامتلأ الفضاء بصوت الطبيعة ودوى الماء وإنشاد العصافير إلى جانب الموسيقى التي كنا نستمع لها، لم أتوقع أن هناك ما يتناغم مع نور الشمس بهذه

الطريقة الجميلة التي كنا بها، لقد تلاشينا من هذا العالم، لقد صعدنا لمعاني المحبة.
لطالما رافقتنا الموسيقى في لقاءاتنا فلا نغمض الأبصار عن حقيقة عُرِفَت بأن الموسيقى جزء من حياة رواد حيث كان يُسمَع صوت الموسيقى والغناء ينبعان من جيبه طوال الوقت (حيث يضع الجوال)، يستمع جميع المارة بجانب رواد إلى أغانيه وعوالمه، تنبعث منه عبق موسيقى التراتيل والشعر، كان يحب موشحات الأندلس والتراتيل السريانية والألحان الشرقية، وحتى بعض الأغاني الطربية للمطربة فيروز وعبد الحليم حافظ، وحيثما تحلَّ هذه الظروف هناك فرصة للحياة.

غلبت على حياة هذا الفرد نمطاً عام يقضي فيه يومه بالدراسة الجامعية وقيامه بمسؤولياته كمتطوع في أحد المؤسسات المجتمعية وكانت الشاغل الأكبر لوقته، كان يحبها ويحب أفرادها والعمل معهم، ويُظهِر الاستعداد الدائم في ترك أي ارتباط أخر من أجل عمله في تلك المؤسسة، ساهمت هذه المؤسسة في تنمية مهاراته وقدراته بشكل فعّال حيث تعلم مهارات الإدارة والتنظيم والحوكمة والتيسير والقيادة وغيرها وكان يستثمر هذه المهارات التي اكتسبها في المبادرات التي عملت المؤسسة عليها من ناحية وفي تأثيره على الحياة الاجتماعية من حوله من ناحية أخرى، ولم يهمل الجانب

العلمي والثقافي من حياته فكان يمضي ليله في القراءة والتوثيق والتأليف، وغالباً ما كان يحيي موعد الفجر بالشعر والتأمل.

هذا النمط من الحياة التي يعيشها رواد يعطي تصوراً عن طريقة تعامله مع الظروف، لقد أخذت الحرب والده منذ الصغر وبدأ مسار تكوين شخصيته بشكل مستقل حتى غدا يحمل عالماً بأكمله داخله، هذا المدى من الالتزام وسعيه الدائم في إشغال وقته في جميع تلك الأمور يشير إلى أهداف عظيمة يطمح في تحقيقها، ويمكن لك أن تلمح دوافعه وغاياته التي تتجلى في ممارساته الحياتية، فكانت النقاشات العلمية ميدانه وسحر الطبيعة فراشه ونجوم السماء لحافه والتعلم هو طعامه والعشق هو شرابه، فكان يضفي على كل مكان لمساته وأفكاره والتي سعى فيها لتحرير قيود العقل وتحرير الفكر، ومن هذا المنطلق دخل رواد العديد من ساحات النقاش التي يطرح فيها جدالات وينتقد فيها التصرفات ويعالج فيها المعضلات، حيث وبعد فترة وجيزة من اللقاء السابق وأثناء حضورنا لجلسة عملية في الكلية دخل مدرس المادة إلى هذه الجلسة كالمعتاد بنظرته المستهزئة للطلاب التي لطالما شوهدت على وجوه المعلمين بالمنصات التعليمية في تلك الفترة حيث الواقع التعليمي في سوريا آنذاك كان متردٍ والفساد فيه منتشر وشعور السخط من الواقع يقبع في قلب كل مدرس وطالب، وذلك لعوامل كثيرة منها الحرب والأوضاع الاقتصادية الصعبة، فمن جهة كان لدى عامة

الناس أولويات أكثر من التعلم كتوفير لقمة العيش وتأمين الحاجات الأساسية المفقودة، ومن جهة أخرى كان هناك صعوبات في تطوير المناهج ومواكبة العصر الحديث وتوفير دعم مادي لقطاع التعليم، هذه العوامل جعلت من الفجوة بين المدرسين والطلاب تزداد بحيث يرى الطلاب حضور المحاضرات ووجود مواد محددة هي مضيعة للوقت ولا فائدة منها بينما يرى الأساتذة أن الطلاب عليهم الالتزام والانصياع التام إلى رحمتهم وطريقتهم في إعطاء المادة غير أنهم يجعلون من الالتزام أمراً صعباً، وما كان المدرس يقبل عذراً ولا الطالب كان يبادر نحو الأستاذ، لهذا وخلال الحصة التي نحضرها الآَن كان مدرس هذه المادة ممن يبدأ جلسة الدرس بتأنيب الطلاب والرغبة في إظهار جهلهم وتخلفهم وحدث أثناء الشرح أن قال:)

المدرس: هناك شركات مهمة في مجال صنع وحدات المعالجة الحاسوبية مثل شركة .... التي تحتل معالجاتها معظم أجهزة الحاسوب الحالية، أنتم تعرفون هذه الشركة أليس كذلك؟

(عم الصمت أرجاء القاعة، ثم أكمل.)

المدرس: كالعادة أنتم لا تعرفون شيء، لا أعرف لماذا دخلتم هذا الاختصاص أصلاً، أيعقل ألا تعرفون هذه الشركة على الأقل، ألا تخجلون من الجهل الذي أنتم به الآَن، أخبروني إلى متى ستبقون هكذا لا يهمكم سوى إضاعة الوقت والاستمتاع

والنشاط على منصات التواصل الاجتماعي، فعلاً أن هذا الجيل لا يمكن أن نتأمل منه شيء، حياته مليئة بالأمور التافهة والفارغة والغير مهمة.

رواد: بل نعرف الكثير يا أستاذ، إن واحداً منهم (يقصد هذه الأجيال) في الواقع خاض بحياته أكثر مما خاضه أبناء الأجيال السابقة.

المدرس: هذا ليس مبرراً لعدم لدراسة.

رواد: لم أبرر يا سيد، بل أقول إن حياتهم ليست فارغة، أراهن أن العديد منهم يعمل إلى جانب دراسته وهم الآن يتحملون تأنيبك بصعوبة، وأن العديد منهم يحمل هموماً وظروفاً، وإن كان لا فإنه على الأقل يواجه صعوبات عديدة.

المدرس: ليس هناك من معيق للدراسة، حتى وإن كان يعمل إلى جانبها، جميعاً مررنا بهذه الظروف، لكن أنتم مستهترون جداً ومتراخون بل وهذا الجيل يفتقد للإحساس بمسؤولية.

رواد: في الواقع أرى العكس، بل أن هذا الجيل وبسبب الظروف إضافة إلى الفجوة في مواكبة التطور تضخمت مسؤولياته بشكل كبير، استطاعة شخصٌ ما تجاوز هذه الظروف لا يعني أن الجميع قادر على تجاوزها ولا يعني أنه يجب على الأفراد القبول والقناعة بهذه الظروف بدل تحسينها،

لكن تبقى هذه ليست العوائق الأساسية عندما تكون الدراسة هي العائق الأساسي.

المدرس: ماذا تقصد؟!

رواد: إن هذه التصرفات من الطلاب تشير إلى أنهم مستاؤون من المادة يا سيد أنت خير من يعلم أن ما نقوم بتحصيله الآن قليل الفائدة، وكلكم يا أساتذتنا تقولون لنا أن الجامعة لن تقدم لنا سوى الأساسيات وأن المعرفة والخبرة ستأتي عن طريق سعينا، هذا حقيقي وفضلاً عن ذلك أن المنهج التعليمي قديم بعض الشيء يمكن أن تلحظ أن بعض المواد الأخرى تحمل نسبة أكبر من اهتمام الطلاب ذلك بسبب قدرتهم على الاستفادة منها، بينما تعلم ما لم يستطيعوا بعد الاستفادة منه أمر محبط، هذا ولم نقل أن طريقة تقديم هذه المواد لا يتناسب معها، لقد ظهرت نظريات جديدة للتعلم يا أستاذ ويجب أن تبنى المناهج الدراسية وفقها من أجل الحصول على جودة تعليمية أفضل، إن العامل الأساسي في دفع الطلاب نحو التعلم هو أنت يا أستاذ، أنت من يستطيع أن تجعلهم يحبونها أو يكرهونها، عندما تقوم بالسخرية والتأنيب لن تزيد من الطلاب إلا نفوراً بينما يقع عليك أن تجعلهم يحبونها، أن تمنحهم عونك وتسهل لهم الطريق، لا أن تضع عوائق لتقدمهم، المدرس هو عون الطلاب يا أستاذ فإن كان معينهم لا يحبهم فلمن سيمدون أيديهم؟

لقد أكد برونر في نظرياته "الاكتشاف" و "النظرة الجديدة" على أهمية اللهفة والرغبة والدافع الذي يتولد تجاه المعلومات الجديدة في إدراكها وتعلمها، هذا وقد نوه آخرون على أهمية تكامل المعلومات الجديدة مع معرفة الفرد المسبقة، أي أن تحاكي المعلومات الجديدة أشياء يعرفونها تسهل عليهم توضيح الأفكار، فهل يا ترى يخاطب أساتذة هذا الزمن ما يستطيع تقبله الفرد من معرفة؟ أم أنه يفرض معرفة تفوق قدرات الفرد بشكل إلزامي عليه؟

الأستاذ: نعم إن هناك مشكلة في أن الجميع لا يتعامل مع التعلم باهتمام بل ينظر إليه على أنه صعوبة شاقة وقليلة الجدوى في بعض الأوقات، ما اسمك أيها الشاب؟

(بطرس: لم تكن هذه الفكرة التي يتحدث عنها رواد لكنه توقف عن الكلام وأخبره رواد باسمه ثم عاد المدرس لوضعية شرح الدرس، إلى حين الانتهاء وعند خروج الطلاب توجه الأستاذ نحو رواد قبل خروجه مبتسماً وقال له:)

المدرس: يبدو أنك تبذل جهداً في سبيل نفسك.

رواد: نعم، هذا واجبنا تجاه أنفسنا، أعطاك الله القوة.

(بطرس: لم يخرج يوماً رواد من قاعة أو مر بجانب أستاذ إلا وألقى التحية وشكره على جهده وأثنى عليه بابتسامته ونظرته المفعمة بالمحبة رغبةً منه في تقديم التقدير للمعلمين، هكذا هو ....

ولم يكن هذه أول مرة يقوم فيها رواد بنقض أفكار المعلم بل وكذلك أيام المدرسة وحتى إلى يومنا هذا، لا يرضى بأن يصيب العقل أي استخفاف من قبل البشر، لا يوجه أي كلام يصيب الأستاذ بشكل شخصي، يدرك رواد بهذا أن الحيادية ضرورية، علينا التصرف وفقاً لفكرة وهدف ودفاعاً عن مبدأ ليس للدفاع عن معتقد أو توجه أو نمط تقليدي أو شخص، وعُرف عليه طريقة مخاطبته التي لا تتجاوز حدود الأدب، وتمنح التقدير للجميع، بهذه السلوكيات التي تحلى بها والنزوع في الدفاع عن المبادئ والأفكار بثقة والدفاع عن المظلومية بشكل لائق وعقلاني جعله يكسب ثقة المعلمين، وكان يستثمر تلك الجهود في محاولة تحسين أداء التعليم ونقل صورة واقع الطلاب ومشاكلهم للمعلمين أملاً منه في تسليط الضوء على قضايا مهمة يجب تلافيها وأساليب تعليمية تقليدية يجب الخروج عنها، هذه الثقة زادت من صلاحيات رواد في قبول طلباته، حيث كان يتم قبول رغبته في تأجيل بعض الاختبارات والامتحانات ويتم تعويضها له بطرق أخرى، علماً أنه عند طلباته هذه تكون الأسباب متعلقة بمهامه التطوعية أو حصوله على فرصة ترشيح من مؤسسته لحضور ورش تدريبية في مناطق مختلفة، وكانت طلباته ترفق بالموافقة، الأمر الذي يعكس مدى التشجيع الذي كسبه من قبل المحيطين به على الأهداف التي يسعى لها حيث وفي أحد المرات أرسل له الأستاذ المذكور سابقاً رسالة يستفسر فيها

عن طبيعة عمله التطوعي بعد أن وجده كثير النشر في منصات التواصل عن أعمال هذه المؤسسة، فقال له:

" نحن نفتخر بوجود أمثالك، أنت شاب مثقف يحمل معه رسالة إنسانية أتمنى لك التوفيق".

عندما أخبرني بما قاله له المدرس كانت تبدو عليه علامات الفخر، كان ينظر للشمس ويبتسم كان هذا في لقائنا الذي تبع الدرس الأخير للمادة السابقة في هذا الفصل، جلسنا في الحديقة المجاورة لكليتنا والتي كثيراً ما نزورها مع أصدقائنا في الكلية.
اكتشفت بينما هو يتكلم أن هذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على أن حوارات رواد لم تكن مجموعة من الآراء الشخصية بل إنها تيار من المعاني التي تدافع عن حرية الفكر والعقل وتظهر رغبته في فك القيود التي تكبّل الإنسان، وإتاحة الفرصة لنفض الغبار عن العقل وتمهيده للسفر لعوالم لم تتم زيارتها سابقاً.
وهنا انتقلت لأسأله عن هدفه في الحياة فأجاب:)

رواد: في البداية وكشاب في مقتبل العمر كان هدفي هو الحصول على المعرفة لا أكثر، أن أتعلم كل ما أستطيع تعلمه، أدى ذلك إلى اكتشافات كثيرة، لقد جبت الكثير من العوالم حتى وصلت في النهاية إلى نفسي، تخيل أن تقوم بالإبحار بعيداً في الأفق ثم تجد أن سفينتك قد رست على الشاطئ

نفسه أو تسافر بعيداً في الفضاء ثم تجد أنك في نهاية المطاف حطت مركبتك على الكوكب نفسه، وفي الواقع هذه هي الحقيقة، إن الشكل الكروي للأرض سيجعل نقطة البداية هي النهاية نفسها، وتحرك المجرات والأكوان في مدارات سيجعلك وإن سافرت إلى أقاصي السماء فإن ما ستصل إليه في النهاية هو نفسك، إنها حكمة متجلية، إنها رحلة منطلقها هو أنت ومستقرها هو أنت. لكن تخيل أنك لن تجد نفسك إن لم تخض الرحلة.. إن بقيت على نفس الضفة. قد تكون في نقطة النهاية لكنك لم تصل لها بنفسك ..... الفكرة من هذه الحكمة أن تصبح أبدي، لا يوجد بداية ونهاية عندما تصبح أبدياً. خارج الزمان والمكان، انظر للحياة، تبدأ الحياة عند ولادتك وتنتهي عند مماتك إذاً لماذا أتيت إلى هنا؟ لماذا أنت في هذا العالم؟ وهل أتيت إليه إلا لتتركه، تأتي إليه لتدفن نفسك فيه، لتتخلص منها وتبقى خالداً، لن تموت إن لم تولد لذا حاول ألا تفسح مجالاً لنفسك أن تولد فيه، تجنب قول "أنا" فمتى قلتها تكون قد ولدت في هذا العالم وعليك إعادة قتلها. في البداية كنتَ مجهولاً ثم تظهر أناك في هذا العالم، تمضي في رحلة التعلم وبعد الرحلة تصبح شاهداً على نفسك، أتيت فعرفت أنك لست في هذه الأنا الصغيرة فتقتلها وهنا تصبح أكثر من وجود جسدي، بل إنك كل شيء من حولك، وطالما كل شيء حولك موجود فأنت موجود، تصبح بذلك خالداً حيث لم يعد وجودك ينحصر بظهور جسدك فقط بل

ظاهراً من خلال الكون، العالم هذا غير قادر على كشف المجهول، إنه محصور بكثير من الكثافة، لذا عند زيارتك لهذا العالم لا ترسخ نفسك فيه، كن ضيفاً راقياً أتى ليجد من يستضيفه، أتى طارقاً الأبواب يبحث عن قلوب تفتح له بابها، يبحث عن الحب، لأن الحب هو الوحيد الذي لا يمكن اكتشافه مطلقاً بل يمكن استحقاقه.
أتيتُ يا بطرس عندما وِلدتُ وفي الواقع لقد قمت بترسيخ نفسي في هذا العالم وكنت على مضي ما سبق من السنوات مغروراً وإن لم يظهر عليَّ ذلك بعض الأحيان إلا أني كنتُ أضمره، لكني وبعد أن خضت رحلة وقد كانت رحلتي القراءة والتعلم، هناك ماتت نفسي وبُعثَت حيّة والآن أصبحت ضيفاً أبحث عن القلوب التي تسعى للمحبة.

أرجو ألا تنظر للحب الذي أقصده بالشكل المعتاد كعلاقة بين طرفين يحكمها التعلق والفناء، ما أقصده بالحب هو وحدة، الغاية الكلية المتوحدة، التي تجدها فقط عندما تتخلص من كل شوائب هذا العالم، للأسف الحب المتعارف عليه الآن في هذا العالم لا يُعَد حباً، يمكنك اعتباره رغبات أو هواجس أو تعلق وارتباط وقيود، لا يتم فيه إفناء للنفس، بل إشباعها، الحب الذي أدعو إليه تتلاشى فيه كل الرغبات والحواجز والقيود، لا مكان فيه لأنفس مختلفة الرغبات والحاجات، بل روحٌ واحدة متحدة.

عندما يعشق أحدهم من هذا العالم فتاة لا تراه يحبها، بل يرغب بها، ترى حبهم مشروط بمجموعة من القواعد جميعها تتبع مصالح أحد الطرفين، لذلك لا يمكن أن نسمي هذا عشقاً، هل نجد في العلاقات المحيطة بنا طرفين مصلحتهم واحدة يا ترى؟ أن تكون مصلحة الأول هي مصلحة للآخر وليست ضرر؟ أتمنى لو نجد فبذلك هو حبٌّ جيد.

عندما يحب رواد فتاة أو بالأحرى رواد يحب كلٌ الفتيات بل وكل الناس، فإنه يعشقها بحيث لا يرى نفسه منفصلة عنها، ستقبع هي في روحه، كل حركة من رواد ستنسجم معها لأنها لا تخدم رواد ولا تخدم الفتاة بل تخدم العشق، "ليفنى كلٌّ شيء وليحيا العشق"، يخاطب الشبان حبيباتهم بكثير من الشوائب، يقولون لحبيباتهم: أحببتك لأنك كذا..، وأنت التي وجدت فيها كذا وأنتِ هي نصفي الآّخر وكذا...، أما رواد يخاطب أحباءه بتعريته للحب من شوائبه، ليس لديه أسباب للحب، هو فقط يحب، وليس له نصف آخر لأن البحث عن نصف آخر يعني أنك تبحث عما يملأ النصف الأول، رواد يبحث عن مرآته، يبحث عمن يجد نفسه فيها وفي المقابل يُظهر فيه نفسها، هكذا نحن بكليتنا لسنا نصفين منفصلين بل إننا في جوف بعضنا البعض، لقد أخذ مفهوم الحب في هذا العالم معنى الانتفاع سواء كان في أي علاقة أي لا نحصره في العلاقة بين الذكر والأنثى، ليكن بين شخصين رفيقين أو أي فردي عائلة أو حبيبين، فهم في الحقيقة لا يحب أحدهم

الآَخر بل ينتفع أحدهم من الأخر، فتجد الناس يساعدون من ينتفعون منهم ولا يساعدون من لا يُنتَفَع منهم، يحب المرء صديقه لأنه يقف معه عند أخطاءه ويبرر أفعاله ويلبي رغبته بالاستمتاع واللهو، جرب مرةً أن يقف الصديق في وجه أخطاء صديقه ويرفضها وانظر كيف ستتحول العلاقة إلى عداوة، إلا في حال فقط كانت مبنية على أساس حقيقي متين من الحب.

لذا فأنا الآَن ضيفٌ هنا يا بطرس أبحث عن قلوب أسكنها ريثما أعود إلى منزلي.

وسجدت علني مقيمٌ فاختفيت **ففني ما حولي وتجلى فرأيت**

قال ما بك تهوى وإلينا أتيت **فأخبرت العليّ مقدار ما هويت**

ضاقت بي النفس وبك ناجيت **بعدت عن الهمِّ والآَن حييت**

(بطرس: بهذه الكلمات أنشد واختتم الحديث وكانت خواتم حوارات أظهرت لي كواكباً وشموس، وبين الغيوم أبرقاً وأرعدا، وفي المحيطات سفنٌ محصنةٌ، إنها جميعها واحدة في مضمونها وهو قلبٌ عاشقٌ بإخلاص، هنا أدركت أن اجتماع المرء بخليله لا يمكن أن يكون مجرد لقاء، بل إنه كلحنٍ وجد الأوتار التي تستطيع عزفه، عندما نجتمع لا يعود ما نسمعه مجرد أصوات، بل يكون عزفنا،

وبالتأكيد حياة رواد كانت مليئة بالعثرات، في النهاية كل إنسان يخطئ، ولا وجود لشخص معفى عن الخطأ، لكن ما يذهل حقاً تجاه العاشق الحقيقي هو رغبته في التحسن والتطور، وتلافي أخطاءه السابقة، وسعيه نحو التحرر من القيود الساذجة. وغالباً ما تكون أخطاء العاشقين تنتج عن نوايا ودوافع حسنة لكنهم يواجهون مشكلة في التعبير عنها، أخيراً يمكن القول عن العاشق المتزن والممتلئ أنه أصبح متصالحاً مع نفسه وساعياً في درب الحياة.)

الأسباب تأتي من آشوريا

الإمبراطورية الآَشورية
كالح، الهيكل العظيم
1 أيار 683 ق.م

الرسول: السلام لحضرة جلالة الملك، لقد وصل الكهنة الذين طلبتهم وهم وينتظرون منك إذن الدخول.

آشورحدون[i] : لتُفتَح لهم الأبواب، أعطهم الإذن فليدخلوا.

(يدخل الكهنة إلى مجلس الملك.)

سينسو (أحد الكهنة): السلام لحضرتك، أيطلعنا السيد عما يطلبه مننا فنجيبه.

---

[i] ولي العهد (آشورحدون) وهو الابن الأصغر لملك الدولة الآشورية سنحاريب.

آشورحدون: أهلاً يا مجمع الكهنة، أريد أن أعرض عليكم رؤياي فتعرضون عليّ تفسيرها علني أجد من أهل المعرفة خبراً يساعدني في تفسيرها.

سينسو: اعرضها علينا ولك أن تأخذ كلمة من كلِّ لسانٍ حاضرٍ بيننا.

آشورحدون: أرجو ذلك يا سيد، أما الرؤيا فهي أنّي رأيت أبراج السماء الاثنا عشر يظهرون في قبة الليل، ثم يتجسدون فتظهر لهم أشكال نورانية على الأرض، ومن ثم ينبثق النهار فجأة وأرى بعض الطيور تحلق بعيداً فأنظر نحو الأفق لأجد سفينة تبحر بتسع مجاديف باتجاه الشمس نحو شاطئ يحمل ثلاثة رواسي، وكانت الشمس قد أصبحت حمراء في موضع المغيب، وهذه هي رؤياي تكون قد انتهت فأرجوا أن تتفضلوا عليّ بما تقولن في هذا.

سينسو: مباركٌ عليك رؤياك يا سيدي وأحسن طالعك ومسعاك، أما معناها أنك كنت تنظر إلى حكماء عددهم اثنا عشر والمتمثلون في البروج السماوية.

حتحور: وأما ظهورهم كأنوار شاخصة على الأرض يعني أنك ستجتمع بهم وتراهم.

تحوتمس: وانبثاق النهار يعني الحاضر، وبهذا فهم حاضرون الآن في هذا العهد من الزمن.

بيلان: ونظرتك نحو الأفق تعني أنك تتطلّع إلى ما هو في المستقبل البعيد من الدهور.

آشورحماة: وأما السفينة هي الرسالة وتشير إلى كنز من المعرفة سيكون نجاةً للناس من الغرق في الجهل.

بلال: وأما التسع مجاديف هي أن تسعة من الحكماء سيرتحلون حاملين هذه الرسالة.

أحيقار: وهل يخبرنا سيدي عن شكل الطيور التي ظهرت؟

آشورحدون: كانت أكبر من الغراب ملونة باللون الأبيض وذات علامة سوداء على رقبتها.

أحيقار: قد جاءتك صورة شمس المغرب والتي هي في هذا العهد مدينة أوغاريت في بلاد الفينيقيين ودلت عليهم أيضاً الطيور فهي طيور النورس التي تشتهر بها تلك البلاد، وتلك الرواسي هم حكماء ينتظرون فيها خبراً منك، وبذلك يصبح عددهم مع راكبي السفينة اثنا عشر معلم سيحملون المعرفة في أوغاريت.

سينسو: وبهذا فإن مجمل معناها أن السيد شمش يخبرك أن ترسل الحكماء أبواب علم هذا الزمان إلى مقامه في أوغاريت، توصية منه بحماية الحكمة والحفاظ عليها من الضياع وضمان استمرارها سفينةً للنجاة حتى العصور اللاحقة، وهكذا تكون رؤياك تجلت أمامك وها نحن الحكماء التسعة ممتثلين بين يديك.

حتحور: وأريد التنويه أن هذا لا يعني أن الحكمة كانت ستضيع بغياب هؤلاء الحكماء، بل كانت ستجد سبلاً أخرى ليتم حمايتها،

لكن الوصية أتت مشيرةً إلينا، لأننا الأبواب ومسؤولية الباب هي فتح المسالك لمستحقيه.

آشورحدون: هو كذلك يا سادة ويا سيدات، أنتم أولئك الحكماء الذين ظهروا في رؤياي شاخصين، أمضيت كثيراً في البحث عنكم من سائر المشرق وحتى أقاصي المغرب، وسعيت في طلب العلماء والعرّافون وعظماء الشأن في كل مكان، إلى أن قادتني السبل إليكم، الأكادي سينسو والآشورية آشورحماة والآرامي بيلان والشامي بلال والسيد وزير دولتنا الآرامي أحيقار ومن كيميت[i] السيد تحوتمس والسيدة حتحور وسيصل قريباً من بلاد الإغريق[ii] السيد هرمس ومن العرب السيد أوس، وأما الثلاثة البقية فهم ينتظروكم في أوغاريت.

إن هذه الأمانة التي نحملها يا أسياد لأمرٌ أثقل تفكيري، وسلب مني نومي، وساقني للعمل على إعداد العدة ليل نهار، أفكر في طريقة لأكون ممن يحمون الحكمة ويحفظونها والآن وبما أنكم حاضرون أمامي فلدي ما أخبركم به عن موضوع هذه الأمانة، أنتم على علم أنه قبل نشوء القومية الآشورية كانت الأقوام بمختلف أعراقها وأعرافها تعيش سوية تحت حكم الإمبراطورية الأكادية، ولم تكن اعتماد اللغة الأكادية والنسب الأكادي للحاكم عائقاً في تعايش الأقوام مع بعضها، بل وكانت عوامل مساعدة أحياناً، ولا يعد قيام حمورابي باستلام زمام الحكم تحت مظلة بابلية أن الدولة أصبحت لجهة

---

[i] التسمية التي أطلقت على مصر قديماً.
[ii] اليونان قديماً.

أجنبية، بل إنها بمثابة ظهور قوة سياسية محلية تختلف في نظامها عن القوة السابقة، لكن وللأسف فكرة الاختلاف تترسخ في المجتمع وتتعاظم تلك النظرة نحو الملل الأخرى باعتبارها طرف غريب، رغم أنهم يعيشون بجوار بعضهم منذ زمن بعيد...

سينسو: نحن على علم بالأسباب يا سيد، أنت تقوم بالتلميح إلى تلك الفترة حيث وفي أيام انتشر فيها الفساد خلال حكم الملوك الأكاديين المتأخرين ظهر على القوم الحكيم آشور، هذا الشيخ الذي نال محبة الناس من حوله بما اتّسم من فضائل، فكان يساعد المحتاج ويطعم الجائع ويُعلم الأطفال ويجيب السائل، كما تنبأ بعدة ظواهر حدثت بالفعل مُظهِراً للجميع مدى فطنته ومعرفته، وكان آشور يقوم بتعليم الناس الحساب والفلك والحكمة، فآَمن الكثير من الناس بعلمه وحكمته وبأنه صاحب الوصية الإلهية الجديد، وبعد أن ذاع ذكره على الألسنة وتوافدت الناس للتبرك منه والتعلم منه والتمسك بوصيته بدأ أصحاب السلطة والمصالح والنفوذ بالشعور بالتهديد ، وهذا بديهي بعد أن شهد الناس على ظلمهم وجورهم، ولا بد أن خوفهم من رغبة الناس في أن يحكمهم شخص يتمتع بالعدل والسماحة والفضيلة مثل آشور. فما كان من الحكام بعد ذلك غير قيامهم باضطهاد هذا المعلم وأتباعه وتهديدهم وارتكاب الجرائم والفظائع في أهلهم وذويهم، فما كان من آشور إلا أن يقوم بإرسال ذويه مع أتباعه ومحبيه وأهاليهم إلى المناطق الشمالية البعيدة عن المدن حفاظاً على سلامتهم، فهاجروا شمالاً واستقروا حيث تتوضع نينوى الآن، فبنوا المنازل

والقرى واستوطنوا هناك، ومع مرور الزمن ازدهرت قراهم وأصبحت مدناً وزادت قوتهم واتسعت رقعتهم وهكذا بنيت مملكة آشور ولهذا سميت بذلك الاسم نسبةً للحكيم الذي يتبعه شعب هذه المملكة، وهذا سبب انشقاق البابليين والآشوريين حيث أن كلا الشعبين يؤمنون برسالة موردوخ من قبله، لكن الفرق أن البابليين لم يؤمنوا بعد بآشور، أي أن الآشوريون لم يستبدلوا موردوخ بآشور، بل إنهم يرون أن آشور هو امتداد لوصية موردوخ كما هو امتداد للوصية الإلهية ولكن البابليين يرفضون شخص آشور.

آشورحدون: نعم يا سيد وهذا الفرق البسيط هو سبب الفتن الكبرى بينهما، والتي ستعمي عيون الشعبين عن الدماء التي سيسببها صراعاهما هذا والذي سيتحول إلى حروب قاهرة ودامية...
كان أبي أحد ضحايا هذه الفتنة والذي قام بمجابهة خيانة وغدر البابليين بقسوة شديدة وقد ضربها بيد من حديد، وأنتم تعلمون أني لا أتفق مع هذا التصرف، صحيحٌ أن هناك في بابل من قام بالغدر بنا في تعاونهم مع العدو الأجنبي عيلام[i] والتمرد ضدنا غير أن أبي لم يترك مجالاً للعفو عن ذلك ولم يعفِ البريؤون منهم وللأسف كان مصير بابل الدمار على يدي أبي وقام بنشر القتل والتنكيل بهم، والظلم سيؤدي حتماً إلى عدم الاستقرار، وإلى سعي المظلوم في البحث عن حليف ينقذهم من جور الظالم. ولذلك عزمت أنا على أخذ مساراً مختلفاً عن أبي في الحكم وعند اعتلائي للعرش سأحارب التهديدات وأقطع أغصان الفتن وسأبني بابل من جديد وأعيد لها

---

[i] عيلام: أحد الشعوب الفارسية القديمة التي سكنت السواحل الشرقية للخليج العربي.

رونقها وأضوائها، وأيَّسر عودة مواطنيها، وهكذا ستكون طبيعة حكمي لكل شعوب الأرض، الحب والعلم والعدالة هم أساس بناء المجد والتقدم.

ولكن حتى هذا المجد لن يدوم طويلاً، فما دام سلطانُ أحدٍ من قبل، وأخشى أنه سيأتي من لا يملك هذا القدر من الحب ليقدمه للشعب، وسيفسد حكمه وستفنى دولتنا، وستتعرض للدمار بسبب ما يعيشه الناس من فتنة بينهم واغترار بأنفسهم، للأسف لا يدرك الناس أننا شعبٌ واحد، واختلافنا في الأفكار لا يعني أننا منفصلون أو أننا أعراق مختلفة، ولكن.. وا حسرتاه، هذه الفتنة ستستمر كوباء يصيب الأجيال اللاحقة وحتى أجل غير مسمى، وستتجلى النتيجة لاحقاً في العديد من الكوارث الفظيعة والبشعة التي ستصيب شعبنا، وستأتي أيام نجد فيها الدماء تجري كالأنهار. أسفي على قومٍ بنيتُ له السفن وهو مصرٌّ على الغرق، هذا هو صراعنا الأبدي، وفي الواقع هناك ملامح لحدوث ذلك في المستقبل أستطيع رؤيتها الآَن، فلا أعتقد أنه من الممكن _ ومهما فعلت_ أن تمحى صور الدمار من ذاكرة البابليين، أو إيقاف رضاعتهم لكرهنا في أخبار آَباءهم، إن هدفنا الآَن ترك رسالة لمن سيحملون رسائل السلام في المستقبل تكون محمية من الكارثة التي ستحل على مدن آَشور، وما وجدت أفضل وجهة وأحسن سمعة من أولاد عمنا بعل سيد السلام في أوغاريت.

سينسو: هذا ما أمرت به الرؤيا، وهذا ما نتمنى العمل عليه إلى جانبك.. عندما تصبح الغاية هي السلام وإتمام الوصية، نكون نحن خداماً.

آشورحدون: ببركتكم يا سيدي، وبهذا أريد أن أكشف لكم عن سرّ، وهو أمانة لدي منذ زمن طويل، اجتهدت في حمايتها والحفاظ عليها، إنها الألواح التي وضعتها في تلك الزاوية من القاعة هناك.
(يشير بيده إلى حيث يضع الألواح)

هذه هي ألواح القدر، التي ورثناها عن الحكماء السابقين.
تحمل هذه الألواح ما تم تدوينه من المعارف التي وثقناها، ما نطق به أسيادنا الحكماء السابقون من حكمة وعلوم، وقد تناولت عدة مواضيع، الحساب والفلك والمادة والطب والنبوءة، وأهمها الهندسة وأسرار بناء الهيكل العظيم، الذي وإن تذكرتم بني أحدهم في بابل سابقاً وتم تدميره لسبب أنتم تعرفونه، وهذا الذي نحن فيه الآن في كالح وغيرهما، جميعها بني على أساس متين من الحكمة في الهندسة، هذا بتفاصيله مدون على تلك الألواح.
وهذه الأمانة يجب نقلها إلى أهلها والتصرف بها وعدم تركها مجهولة ومخفية عن أعين المحبين، لذا شرعت بالبحث عن أهل هذا الطريق، ومن نتاج ما قمت به من البحث والتمحيص هو صيتكم الذائع على كل لسان وتغنّي الناس بمحبتكم وأعمالكم الخيرة التي وردتني أخبارها عن لسان أتباعي، فوجدتكم أوتاد هذا العهد وحكماءه ووددت أن أسلم لكم المهمة المقدرة لكم فأنتم من سيقود سفينة النجاة التي ستعرّي هذا العالم من حجاباته الكثيفة،

وسيمهد الطريق لأبناء المستقبل في أن يعرفوا أخبارنا ويحصلوا على نتاج ما علمتنا إياه الحكمة.

ولهذا والآَن أقول لكم بصوت واضح خذوا هذه الألواح وانقلوها ووثقوا محتواها بشكل محفوظ وأعطوها لمن تثقون بهم من تلاميذكم، كل منكم على ملته وقومه وادعوا من هم أهل لهذا الطريق للقدوم، وعلموهم وساعدوهم، واستمروا على ما أنتم عليه من خير العمل، واستمعوا إلى ذلك جيداً، اذهبوا إلى أوغاريت أرض الخير، والتي لم نسمع عنها سوى السلام والمحبة، أفضل مكان لحفظ سرّنا.

هناك وبعد دهور سيحملون أحفادنا في تلك المنطقة ما نكتبه بشكل سري ومحفوظ، سيتعرضون مستقبلاً للاضطهاد لكنهم سيصمدون ويعتصمون بالرسالة،

ابحثوا عن مقاماً هناك لشمش، هذا المعبد سيكون أكثر مكان آَمن لأسرارنا، اجتمعوا هناك وضعوا هذه الألواح واكتبوا ما تعرفون، وابقوا مستترين ولا تدعوا أحد من الغرباء يعلم أمركم أو يعرف ذلك أنكم من أصحاب الأمير الأشوري، خشية أن يكون حاقداً علينا فينقم عليكم ويكنّ لكم العداء، وإني أضع ثقتي بكم وهذا ما لدي لكم أتودون قول أي شيء؟

أحيقار: لا تقلق يا سيد سنؤدي مهمتنا وسنحافظ على رسالتنا، أما بعد فأنت تعلم وفائي لهذه الدولة، وتفانيّ في خدمتها على مدار السنين التي شغلتها كوزير، صدقتَ في القول أن الفتنة ستبقى لأجلٍ غير مسمى، وهي لا تعرف طرفاً أو جهة فهي حتى تصيب الفرد

لتجعله عدائياً لنفسه، في النهاية حتى وإن بلغت بين البابليين والآَشوريين فهي بهذا مجرد شكل للفتنة وليس حقيقتها، فالآشوري الذي يمتلك المعرفة لا يقوم بعداء البابليين وكذلك البابلي العارف لا يعادي الآَشوريين، الفتنة مصير الجهلاء فقط، ومشكلتنا ليست في نَسَبٍ واختلاف، بل في داء الجهل، الحكيم عبدٌ للمعرفة وهي إلهه الحقيقي، والجهل هو شيطان يصيب البشر بالتكبر الأعمى.
وإني أرى أيضاً يا سيدي أن هذا الداء المغذي للغرور والفتن قد يصيب أولادنا وأرى بعض علاماتها تنبع من ولدي، لذلك أنبئك بأن ولدي يحيك أمراً علي وسيقوم بالافتراء علي.

آَشورحدون: حقٌ هو ما قلته يا سيد، أما بخصوص ولدك فما باله؟ ولم قد يفتري أو يحيك أمراً ما؟

أحيقار: إن ما في باله طمعٌ وأما عن سبب ما سيحيكه علينا هو تكبره ونزعته السلطوية، أكتفي بهذا فقط يا سيدي لكنك ستفهم ما أعنيه قريباً.

آّشورحدون: سنرى ما القادم لنكن مستعدين بكل الأحول، الآَن أود إخباركم بما يتعلق بالرحلة، هناك فرقة من الجنود مهيئة في أوغاريت تعلم بقدومكم وستقوم بحمايتكم في الخفاء، وسأدع جنديين متنكرين بلباس خدم يرافقنكم في الطريق تحسباً لأيّ مكروه، وسيخدمونكم خلال الرحلة كي لا تتعرضوا لقطاعي الطرق أو السارقون.

سينسو: أرى بأنه لا داعٍ لذهاب الرجلين يا سيد، لقد واجهنا الكثير من اللصوص في حياتنا لا تقلق إن كان للص نصيب فسنشفي قلبه وإن لم يكن فسيسرق نفسه، إننا بعدم امتلاكنا للمال نأمن من شرّهم، ولا أظن اللص سيرغب في سرقة الألواح التي لا يفهم منها شيء، بل وسيراها هراءً في هراء، ولا أظن بقارئ سيقدم على السرقة، وأما عن حمايتنا فمعرفتنا غنية عن السيف يا سيد.

آشورحدون: لك ذلك يا سيد، ومع ذلك أصرّ على ذهابهم معكم ليس الأمر خوفاً أكثر من كونه ضمان وجود من يخدمكم ويعينكم في هذا الطريق.
أمّا الآن... فإني أضع كل شيء تحت تصرفكم، والامبراطورية في خدمتكم، اطلبوا فننفذ.

بيلان: في الواقع الشيء الوحيد الذي نطلبه هو فقط قلوب تدعوا لنا بصدق، وهذا ما يصعب علينا تحقيقه.

أحيقار: إن سمح لنا سيدنا، سنستريح اليوم ريثما نعد العدة والرحيل وسننطلق غداً مع شروق الشمس.

آشورحدون: لكم ذلك يا أسيادنا وهذا المقام العظيم الذي نحن فيه، والذي لطالما كان أصحاب المقامات في خدمة القلوب، سيحسن إليكم من فيض بركاته وأذكاره.

(وخرج ولي العهد آشورحدون من القاعة التي جمعتهم والتي كانت في قاعدة الهيكل العظيم، مقام أحد الأسياد الصالحين وهو برج شامخ بشكل هرمي ذا سبع طباق يتوضع في مدينة كالح، أقاموا فيه وبدأوا يعدون العدة للرحيل، بينما تم الاتفاق على عودة أحيقار لموقع الوزارة إلى حين القرار بالرحيل، ليس تجنباً لإثارة الانتباه نحو غيابه فقط بل يتعين عليه تنظيم الأعمال الإدارية وإعداد الترتيبات بحيث يمنع الفساد من أن يتسبب بانهيار النظام لاحقاً، وبدأ بانتظار حدوث واقعة ولده.)



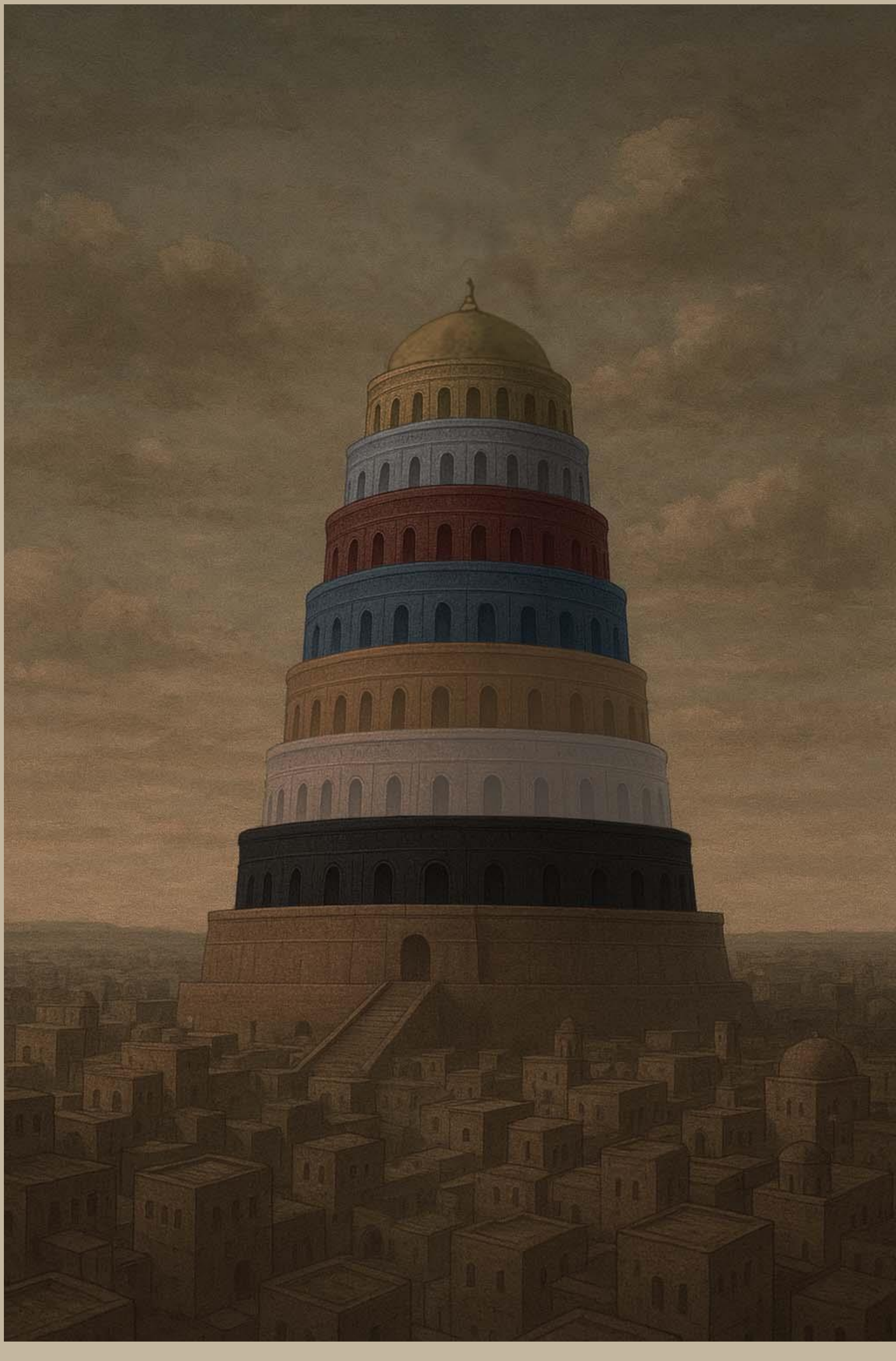
على شرفة الهيكل

(تم تصميم الهيكل كساعة فلكية تُخَصَص فيه الطبقة الأولى لحساب حركة كوكب زحل ويرمز إلى الحرب والنزاع وتم تلوينها باللون أسود، يليها الطبقة المخصصة لكوكب الزهرة ويرمز للحب والتصالح والخصوبة وهي ملونة بالأبيض من ثمَّ يليها طبقة المشتري ويرمز إلى السيادة والقوة ملونة بالبرتقالي، يتبعها طبقة عطارد ويرمز إلى الرسالة وهذه الطبقة ملونة بالأزرق، يأتي بعدها طبقة المريخ ويرمز إلى زوج أو صورة (والمقصود تحديداً بالزوج أي الصورة المزدوجة عن الشيء كانعكاس المرء في المرآة مثلاً) ويمكن أن يعبر عن التوازن أيضاً ولون الطبقة قرمزي، نصل بعدها إلى طبقة القمر الذي يرمز إلى الولاية أو الباب أو المفتاح وتظهر باللون الفضي، أما الطبقة السابعة والأخيرة فهي طبقة العرش، طبقة الحقيقة ومخصصة للشمس بلون ذهبي خالص.

وأتى التصميم تماشياً مع مراحل بلوغ الحكمة في المعتقدات القديمة، حيث تبدأ في النزاع الداخلي مع النفس وتتمثل في حرب طاحنة يعيشها الإنسان في داخله، يحارب فيها كل ما تعلقت به من نزعات ونزوات ورغبات أنانية (ليست كل الرغبات أنانية)، إلى أن

يصل لمرحلة الحب والتصالح مع الذات حيث يشعر فيها الإنسان بالمحبة تجاه نفسه وتجاه كل شيء، وتبدو عليه علامات الشكر والامتنان بدل التذمر والشكوى، وهكذا حتى يبلغ الحب منتهاه يكون قد وصل لمرحلة قوية من السيادة على نفسه، يفكر ويتصرف وينفذ ويبتكر بشكل ذاتي، دون التأثر بالعوامل الدنيوية، وبعد تمكنه من اكتشاف وتحقيق ذاته يصبح للفرد رسالة يمنحها للوجود، وهنا وبينما يعيش الفرد حالة الحياة لأجل رسالته تبدأ لديه مرحلة جديدة من الوعي بالتشكل، يصبح مدركاً للتوازن بين جسده وعقله، بين أناه الفردية وأناه الكلية، يصبح على دراية بأن حالة التوازن بين الاثنتين ضرورية، كي لا ينسلخ عن الشكل الظاهري للأمور ويعرض صورته للخطر وفي نفس الوقت لا يهمل الجوهر، بهذا ينعم بسلامة نفسه وصورتها، وعندما يرتقي بالوعي وبالحكمة أكثر ومع تعاظم معرفته يصبح هو ممراً عابراً للنور، وكالقمر بطريقة عكسه لنور الشمس، يضيء لنا القمر بشيء من النور، لكن في الحقيقة هذا ضوء الشمس وكان القمر ممره إلينا، وهذه هي درجة الولاء، هنا حيث يفيض سالك الطريق من معرفته ومحبته وعمله الخيري لكل ما حوله دون بخلٍ أو نقصان وتتعاظم رسالته لتشمل قمة معاني العطاء والسماحة والحب... يبقى الفرد على هذا الدرب ليتبقى أمامه شيء واحد فقط يفصله عن الإحاطة بالحقيقة بجملتها، وفي الواقع لا شيء أبداً... سوى نفسه، هنا يدرك أنه مهما ارتقى ونال من حكم ومعارف لا يجب أن يكون هو الشمس، لا يجب أن يكون هو الحقيقة، هو سيعرفها ويعكس نورها وهو على مقدرة بأن يحيط

بالغاية الكلية إلا أنه يدرك أن الغرور هو الشيء الوحيد الذي سيدفعه لامتلاكها، يعرف الحكيم أن الحقيقة لا يجب أن تكون ملكاً لأحد، بل هي مرآة للكل وعلى الجميع الإقرار بها، وفي حال حصل أن طمع بها ينهار كل شيء حينئذٍ، ينهار المعبد العظيم الذي بناه لنفسه، يعود لأدنى الدرجات في الوعي، لأن الغرور هو الدافع الوحيد الذي يحث على امتلاك الحقيقة والإحاطة بكليّتها، لذا وعند بلوغ الطبقة السبعة والأخيرة ستكون واقفاً أمام العرش، لا يوجد من يجلس على العرش، وهنا يكمن أعظم اختبار، أنت أمام عرش قد يمنحك السلطة على الكون برمته، هل ستختاره أم لا؟ إن كانت الإجابة نعم فإن الرحلة التي خضتها لم تكن سوى مضيعة للوقت، أنت لم تحصل على الحقيقة ولن تحصل عليها ولن تستحقها أبداً، من يصل إلى ذروة الحكمة الفعلية يدرك أن العرش هذا يجب السجود أمامه لا الصعود عليه، لأن تواضعه لا يسمح له بامتلاك المعرفة، كيف لا وهو مرآتها.



يتميز الهيكل العظيم ذا السبع طباق بارتفاعه الشاهق وتوضعه وسط حديقة عريضة ذات غطاء أخضر من الشجر والنبات، ويحيط بالشجر المجاور لجدران الهيكل مجرى للمياه يأتي من ينبوع في زاوية الحديقة ، وعندما تصل لبوابة الهيكل وتفتحها تجد أمامك ثلاث أبواب، أمامي يدخلك نحو القاعة وبوابتان جانبيتان تصعد من اليمينية بدرج نحو الطبقات الأعلى وتنخفض من اليسرى نحو الطبقات الأدنى والتي تصل إلى القبو في أول طبقة، تطل سلسلة من شرفات الهيكل المصطفة فوق بعضها من كل طبقة على الجزء الشمالي من مدينة كالح، ويظهر الجزء الشمالي من المدينة بحلتها الجميلة ومبانيها العظيمة وساحاتها الواسعة، ويمتد المنظر لينتهي إلى أسوارها العملاقة بينما تظهر الغابات والجبال خلفها.

وعلى شرفة الطابق الرابع المخصص لكوكب عطارد والذي يرمز للرسالة الإلهية كان يقف سينسو وحتحور وتحوتموس وخلفهم باب القاعة الواسع مفتوح حيث يجلس البقية على مفروشات اسفنجية محيطة قرب باب الشرفة.)

سينسو: يا للقلب كيف أن يحتمل البعد عن هذه الأراضي، وهل يا ترى سنشهد سقوط أعظم إمبراطورية في العالم! لا نعرف، وحده البارئ هو الذي لا تنتهي عظمته.

حتحور: يبدو أن اللعنة دائماً ما تعود وتصيب البشر في كل زمن، ويبدوا أنها ستستمر طالما أن البشر مستمرون.

سينسو: نعم، طالما أن البشر الموجودون إذن فالتكبر موجود، جميع أسباب هذه الظروف تقبع تحت مظلة واحدة، وهي التكبر، وتتعاظم غاياتها مع تطور البشر وازدياد حاجاتهم ومتاعهم ورغباتهم، لقد بلغت هذه الرغبات من التعاظم إلى أن وصلت لحد طلب الألوهية، كما حدث عندما قام "نارام سين" ببناء أول هيكل عظيم تقديساً لنفسه، وانشغل في تبجيل شخصيته وبناء مقاماً فاخراً له وإشباع طمعه بالسلطة والمراتب واستعباد الناس، وقام بتنصيب نفسه إلهاً، قامت فعلته هذه بسطر حروف لعنة كبيرة، حيث بدأ الطمع بالحصول على هذه الميزات التي حصل عليها نارام سين، المقام الكبير والتبجيل والسلطة والثراء وكل ما يزهو في العين الطماعة، وبدأت نزعة السلطة والسيطرة والغرور بالتعاظم عند الناس، فلم يعد يكتفون _*كالذي سبقوهم من الأقوام*_ بخيمة سيادة، بل تحولت إلى معبد كبير، وما أدركوا يوماً أنها ليست مراتب للحياة بل مراتب الفناء، فالعمر يفنى، المباني تفنى، حتى الاسم يفنى،

إن من يحشر نفسه في قوالب البشرية هذه يعرّض نفسه للفناء، من يسعى لتحصيل اسم في هذا العالم يصبح منتمياً إليه وبالتالي يصبح فانياً.

أوس: نعم، أسماءنا وإن استمرت إلى ما بعد آلاف السنوات، فلن يعرفها إلا من أحبنا وليس ذلك دليلاً على خلود أسماءنا، بل على خلود الحب بذاته، الأسماء لا تخلد، قد يعاد ذكرها ولكنه لا يعد خلوداً، ربما لن تحمل نفس المعنى الذي حملناه نحن.

تحوتموس: وفي الحقيقة لا يعلو مقام الفرد إلا إن قام بنزع هذه القوالب الفانية عنه، ويبحث عن الجزء المخلد منه، عن حقيقته، ولا تنحصر الحقيقة بنفسه فقط، بل في كل ما هو محيط بالفرد فلذلك لا يجد الحكيم طريقة للتكبر فهو يرى الحقيقة في كل شيء مهما كان صغيراً.

بيلان (التفت وقال لرام _الخادم الذي كان يقف عند الباب ويستمع للحديث_): ما مرادك يا رام؟

رام: عفواً يا سيدي أنا رام خادمكم، وأنا المشرف على التحضيرات لرحلتكم.

بيلان: نعرف من تكون يا رام نحن لا نسأل من تكون، لأننا على معرفة بمن تكون، نحن نسأل ما الذي تريده مننا، وبماذا نستطيع خدمتك.

رام: سامحني على التطفل يا سيدي لكني ممن يحبون حكمتكم ونقاوة كلماتكم الذهبية بينما تتحدثون، أتيت لأداوم على خدمتكم، وإني أضع نفسي بين أيديكم تطلبون أمراً فأقوم على تلبيته.

بيلان: أهلاً بك يا رام، نحن معاذ أن نكون أسياداً على أحد بل إننا نسعى لأن نكون مرآة للعالم، أيمكننا أن نجيبك عن شيء يا صديقنا رام.

رام: سمعت حضرتكم تتحدثون عن اللعنة التي حلت علينا بسبب نارام سين وبأنها تهددنا الآَن، فهل لي أن أسئل عن طبيعة هذه اللعنة؟

بيلان: إن ألطف ما يمكن أن نراه هو شابٌ نقيٌّ مثلك يسأل ويطلب المعرفة، قد حللت أهلاً يا صديقنا رام وإن الإجابة على أسئلتك لهي من دواعي سرورنا إن كنّا أهلاً للحقيقة وقولها، أحضر فرشك واجلس معنا لنخبرك القصة.

رام: شكراً لكم يا سيدي إن الجلوس بينكم لشرف عظيم وفضل كبير منكم.

بيلان: أترى هذا الذي شعرتَ به من الفضل يا رام؟ أكنت ستشعر به لو جلست على كرسي منخفض، كذلك الذي يضعونه الحكام لضيوفهم أمام عرشهم الضخم، واستمرارك بالانحناء والركوع لهم، ألن تشعر بالسخط والإهانة؟ إن ما يشعرون به من عظمة زائف طالما أنه مبني على انخفاض منزلة الآَخرين وليس ناتجاً عن مقامهم عظيم، بينما وعلى العكس بجلوسك معززاً إلى جانبنا قد أشعرك بالفضل والامتنان، وهذا يظهر كيف أن من يأتي لهذا المقام يرتفع شأنه، بالتالي فهو مقام ذا شأن عظيم، إضافة إلى أن الاحترام الذي نكسبه يأتي من محبة حقيقية، أليست القلوب هي المقام الحقيقي؟

رام: صدقت يا سيدي، قد لا تملكون فرشاً وعرشاً ومباني عظيمة، إلا أن مقامكم عظيمٌ في قلوبنا، فالذي دمرتموه خارجاً حصنتموه

داخلاً، وإن عرشكم الذي لا يرى يُبصَر بالقلوب في كل مكان وكل زمان.

سينسو: هو كذلك يا رام، أما الآَن لنقم باطلاعك على القصة، اللعنة التي نقصدها هي التكبر، ليست سحراً عجيباً وخارقاً لكن أثرها كبير جداً ويزداد اتساعاً مع مرور الوقت والسبب في ذلك أن الناس عندما يبتكرون شكلاً جديداً لهذا الغرور ينال إعجاب الآَخرين فيتم تبنيه بشكل فوري، كما حصل بامتلاك الناس للعبيد، يمكنك إرجاع بدايتها إلى قدرة شخص ما على تطويـع مجموعة من الناس في خدمته مقابل المال، وعندما وجد من حولهم أن باستطاعتهم القيام بذلك بدأوا ممارستها ومن دون وجود سبب أو حاجة حقيقية في كثير من الأحيان، وابتكروا لها أشكالاً مختلفة وإضافات جديدة، حيث ينجذب الناس إلى ذاك الشعور العجيب الذي ينالوه عند رؤيتهم لشخص يجلب لهم كأس الماء ويحملون لهم عرشهم، وينفضون الغبار عن نعولهم، فتراهم أصبحوا يملون على خدمهم أعباء ثقيلة ومهينة وليس ذلك وحسب بل يتفننون بالمطالب والأوامر، استغلالاً لخدمهم في تلبية مصالحهم، إلى أن وصل بهم الحال لعدم الاكتراث لحياة الخدم، ولذلك هي لعنة يا رام لقد جعلت من حياة الكثيرين فارغة لا معنى لها سوى نفض الغبار عن نعل شخص لا يحمل قيمة حقيقية.

وهكذا عندما بنى نارام سين معبداً خاصاً له جعل من الناس تطمح في أن تسلك طريقه وتنصب نفسها معبوداً للآخرين، وهذا ما حدث بشكل مشابه له في بابل، كان البرج قائماً ومعبداً مقدساً ومدرسة

للتعلم ومرصداً فلكياً، أنجب العلماء والمفكرين والقديسين والكهنة العظماء، وأصبح مزاراً للقاصي والداني، تأتيه الناس من كل الملل والأقوام والألسنة، للتعلم والتأمل ونيل الحكمة التي حملها ودوّنها ونشرها موردوخ، وهذه القدسية العظيمة أصبحت مطمعاً في يد أصحاب السلطة، وعند ظهور الحكيم آَشور سعى حاكم بابل لتوقيف انحياز الناس لصالح كفة آَشور عبر تنصيب نفسه مكان الولاية ومحل الوصاية، فلم يرى منفذاً غير أن يستولي على الهيكل ويظهر نفسه على أنه الوريث الحقيقي لوصية موردوخ فيحصل من خلالها على مراده، وقد أتاه حسابه في أن يموت متورم اللسان ومتلعثم الكلام، أما الهيكل العظيم فقد طالته يد الفساد وأصبح أصحابه طماعون استغلاليون، وبالطبع مصير أي مبنى يحدث فيه ذلك هو الفناء، فلا يليق بحكيم مثل موردوخ أن يصبح مقامه حاملاً كل ذلك الفساد، حيث طالت يد النهب والسرقة جدرانه وحجارته، وضاعت الحكمة وأصبحت مجرد تقاليد وعادات بالية، واستمرت هذه الحال إلى أن أعادَ آَشور وأصحابه إحياء الحكمة وقاموا بالهرب مع الذين رفضوا تلك المفاسد وصنعوا لهم ملجأ في الشمال وهي نينوى الآَن، وبُنيت المعابد هنا لتكريس الزهد والابتعاد عن نزوات التكبر، حيث ستجد معابد المتكبرين مليئة بالزينة والذهب وكلما ترقيت بالمرتبة تزداد ثروتك، بينما تجد العكس في معابدنا، لأن المعبد الحقيقي لا يجعلك عبداً لأحد، بينما معابدهم تجعلك عبداً للطمع، عبداً لل"أنا" الدنيئة... في معابدنا تتخلص من عبادة شيء بعد كل مرتبة، لأننا في الحقيقة كبشر عباد

لكثير من الأشياء التي لا نعترف أننا عبيدها، لتجد في النهاية نفسك فقط أمام كل العوالم، هذا المعبد الذي نحن فيه مازال محفوظاً ومصاناً الآَن بفضل إدارة السيد آَشورحدون ووجوده في السلطة، لكن معابدنا أيضاً معرضة لأن تصاب يوماً بنفس الداء، ولذلك سنمهد لإخبار أبناءنا في المستقبل عن حقيقة ما حدث وعن مختلف المواضيع التي نعرفها ونمهد الطريق لمن يسير فيه من بعدنا.

رام: من المؤسف حقاً، أن تأتي تلك الأيام، وأن يحدث كل ما حدث.

حتحور: لا تحزن يا رام، هكذا هو هذا العالم، وسيبقى هكذا، ابق أنت بقلبك المفعم بالمحبة واجعله مرشدك، وليتحول أسفك هذا إلى تفاني في خدمة الآَخرين والقيام بخير العمل، فهذا شعارنا يا رام، وهذا الشعار الذي سيحمله من سيجد كنوزنا بعد مضي الدهور، "حيٌّ على خير العمل".

رام: أريد مرافقتكم يا سيدتي، أرجوكم لأكن من السائرين على طريقكم.

حتحور: أنت تسير معنا على الطريق يا رام ولكنك لا تعلم، ما كنت هنا لو أنك كنت على طريق مختلف، كنا لنحب لقاءك معنا، لكني وجدت وجوه هؤلاء الحكماء تقول ما سأخبرك إياه، إن أخذناك معنا سنفقد التوازن، الطود المغروس هنا سيتم نزعه، أنت الطود هنا يا رام، محبتنا للقياك كبيرة غير أنك ونحن واحداً، لن تفرقنا المسافات يا رام، طالما شعارك هو "حيٌّ على خير العمل" فهو واحد في كل

مكان، أنت شجرتنا هنا، أنت رسالتنا في آشور، ومن الآن فصاعداً لك مكتبة هذا الهيكل، امضي فيها شهرين قبل الخروج إلى أي مكان، ولتتعبد وتتأمل، وقاتل نفسك هنا حتى تصرعها، وكُل مما تحويه الكتب واشرب من الحب الذي يصيب قلبك، وعند الانتهاء من قراءة كل شيء ابدأ بالسعي في تعليم الأطفال واهتم بإطعام الجوعى وسقاية العطشانين وكساء العراة، فهذه ثروتنا التي نورثك إياها فإما أن تقبل وإما إن شئت لا.

رام: هذا الوسام سأضعه في قلبي يا أهل الكرامات، لترافقنا أصواتكم وأفكاركم ولتحط بقلبنا، سأعكف على ما قلتم لي بكل حب، قد حللتم أهلاً في قلوبنا.

سينسو: لا تنسى يا رام العزيز أنك سرّنا هنا، فلا تفشي سرّنا، ونحن لولا معرفتنا بك ما أطلعناك على شيء، فقلبك كان أهلاً لهذه المحبة، فاعزم على عدم البوح بسرّنا لأحد، وأني أرى وكما أراك الآن أنك ستتعرض لتهديدات كثيرة بسبب هذا السرّ، لكني على يقين بأنك ستدافع عنه حتى لو كلفك ذلك حياتك.

رام: العمر فاني يا سيدي أما سرّكم فحي، نحن أبديون إلى جانب سرّنا، وفي هذا العالم نحن ضيوف نبحث عن القلوب التي تحمل هذا السرّ، اختفاءنا عن هذا العالم لا يعني أننا نفنى، بل يعني انتهاء الزيارة، لقياكم في القلب يا أسيادي.

(قال وكان الجميع قد بدأ بذرف الدموع، التي تحمل الكثير من الحب الذي جمع مجموعة من المساكين الذين يحملون على عاتقهم عبئ العالم كله.

عمّ الصمت أرجاء المكان في الساعات التي تلت الحادثة، فقط صوت السحر الذي انتشر فجأة نتيجة دخول شعاع الشمس من قبة البرج في الأعلى وانعكاسه ضمن مجرى اسطواني ضيق على سطوح عاكسة للضوء موضوعة ضمن المجرى في لب البرج عبر الطباق، بحيث يبدو أنه بوابة نحو السماوات تشع نوراً وتضيء القاعة، كان هذا المنظر كفيل بأن يكون له صوتاً يسمع ليس من الإذن بل من عمق القلب، هي صلاة تلاها الحكماء دون كلمات، واستمرت إلى أن فاقوا من تأملهم وطلبوا من رام أن يتأكد من أن جميع ترتيبات الرحلة ستكون جاهزة بحلول الغروب، فهبَّ رام من مجلسه وخرج من القاعة، ليبدأ الحكماء بالنقاش حول ما سيقومون بكتابته.)

الافتراء

نينوى، بلاط الملك
1 أيار 683 ق.م

(وعلى الجانب الآَخر من الأحداث في مشهد آَخر وبينما كان الكهنة مجتمعون في الهيكل كان أحيقار يقضي أعمال الوزارة في نينوى ويعد العدة من أجل المهمة، قام بإعداد التقارير اللازمة لإرسالها للملك سنحاريب والتي كان يطلبها من كل مكلف بالمهام بإعدادها ليبقى مطلعاً على أحوال البلاد وعمله على إدارتها، تناول مرافقه المختص بالكتابة لوحاً من بين الألواح الطينية المعَدة للكتابة وأمسك بقصبته الصغيرة المستخدمة للنقش وبدأ يدون كل ما يملي عليه أحيقار بالكتابة، ومن بين التقارير كتب رسالة صادرة عن أحيقار تتضمن التالي:)

" أما فيما يخص الوزارة وإدارتها فإني أنا أحيقار وزير الدولة الآّشورية أخبر سيدي بأن الشيب قد أصابني، وبلغت من العمر ما يضعف الحجر، ويرقق العظام ويضع بدل النشاط هوان، فأصبحت شؤون الإدارة صعبة على عجوزٍ كهلٍ مثلي يتعبه الترحال والتجوال بينما

تحتاج الدولة إلى أقدامٍ فتية نشيطة، وفي ذلك أقترح على سيدي أن ينصّب ابني نادان مكاني، وأن يوكل إليه مهامي، فقد تبنيته في صغره ثم كبر وشبَّ على تربيتي، وعلى ما علمته ولقنته، وأصبح يافعاً قوياً، وقد دأبت على حسن تعليمه وتدريبه، وعملت على تحضيره لتعويض مكاني و أن يشغل مهامي، ويخدم الدولة الآشورية كما خدمت، وبالطبع سأقوم بمساعدته وتقديم النصائح له عند الحاجة، وهكذا إلى أن يعود هذا الجسد ليتحد مع أمنا الأرض العظيمة، وهذه رسالتي وطلبي إلى سيدي، من خادمكم المخلص أحيقار".

(وبعد الانتهاء من جميع التقارير وضعَ الألواح في الصندوق المخصص للإرسال ثم أمر الكاتب بالخروج وقام بترك الرسالة المذكورة على الطاولة المخصصة للكتابة قرب النافذة بشكل واضح، ثم نادى أحد الخدم الذي يعملون تحت إمرته وقال له.)

أحيقار: اذهب إلى سيدي ولي العهد آشورحدون واحرص على ألا يعرف أحد ما في بيننا أو أي معلومة تتعلق بأنك خادمي أو أنك شخص تعمل لصالح الدولة، وستكون أنت المرسال بيني وبينه، وحتى يتأكد سيدي أنني من أرسلتك أجب عند سؤاله عن مرسلك ب "نبعٍ ارجواني عتيق"، وقل له إني سأبعث لوالده الملك برسالة أخبره فيها بتسليم الوزارة لنادان ابني، وذلك لكي أستطيع تنفيذ المهمة التي أوصاني بها، حيث لا يمكن أن أغيب كل هذا الوقت دون ملاحظة الملك لغيابي، فالمهمة قد تستمر شهوراً وربما سنين ونحن أخذنا عهداً بكتمان خبرها لذا من الأفضل أن يكون عهدي قد

انتهى بالنسبة للآخرين، وفرصة لوضع نادان في المحك وكشف ما يحيكه، وأخبره أن ما سنخطط له وندبره ونتراسل به سيكون عن طريقك أنت فقط.

الخادم: أمر سيدي المطاع، وكما كنت خادمكم المخلص وسأبقى، لتعتبرني يدك اليمين وحيث تشير سآتي، أيطلب منّي الوزير أي طلب آخر؟

أحيقار: نعم أخبر سيدي بالحرف أن ربان السفينة سيتأخر عن الإبحار وسيلحق بالسفينة بعد فترة وجيزة جداً، وإن سأل عن السبب قل له أنه سيرى ذلك فيما سيجري من أحداث، هذا يكفي الآن، شكراً لك على ما تقدمه لنا وما ستقدمه لاحقاً، وأرسل تحياتي معك.

(خرج الجميع من غرفة الوزارة وذهب أحيقار لحل بعض المشكلات المترتبة عليه في الإدارة والتحقق من عمل مؤسسات الدولة واستلام التقارير من ولاة وأمراء الولايات، وأخبر الرسول أن يكون ذهابه لنقل صندوق الرسائل إلى الملك قبيل المغرب حوالي الساعة الخامسة[i]، ذلك من أجل أن يترك متسعاً من الوقت يجد فيه نادان الرسالة ويقرأها، وبالفعل قبل حلول الوقت المحدد وحيث كانت هذه الغرفة فارغة دخل نادان إليها، وكان متاحاً عليه الدخول باعتباره ولد الوزير المتبني وتلميذه وخليفته في هذا

---

[i] إن أقدم تقويم ونظام للتوقيت مكتشف هو النظام الذي ابتكره السومريون، حيث مع تطور الرياضيات والفلك قاموا بتقسيم السنة بحسب نظام العد الستيني إلى 360 يوم وإلى 12 شهر واليوم تم تقسيمه إلى 24 ساعة أي 12 لليل و12 للنهار، والساعة قسمت إلى 60 دقيقة والدقيقة إلى 60 ثانية، وكن هذا التقسيم محاكاة للساعة الفلكية الشمسية. انظر المرجع 1 في الختام.

المنصب، وهنا لاحظ الرسالة (المكتوبة على اللوح) المكشوفة والموضوعة على الطاولة والتي كتبها أحيقار للملك، هنا بدأت ملامحه تبتهج وارتسمت على وجهه ابتسامة من المكر عندما جال في خاطره ما يقول فيه:)

نادان: ها هي الحياة بدأت تفتح أبوابها لي، لقد مللت من البؤس الذي كنت فيه، تلك الجدران التي دفنت قدراتي ومنعتني من إظهار قوتي وجبروتي للناس، لقد حبسني هذا العجوز الخرف ومنعني طوال تلك الفترة من ممارسة حريتي ورسمها ضمن قيوده القديمة البالية والتي جار عليها الزمن، يظن أن الناس في هذه الأيام تستحق هذه المعاملة التي منحها لهم، المصريين والفينيقيين وحتى الكلدانيين الذين خانونا وعملوا على تدبير هجمات ضد دولتنا صرنا نراهم يطالبون بحقوقهم ويصلون إلى مواقع إدارية في الحكم، هم لا يستحقون أن يتحكموا في البلاد بينما نحن من قمنا بتأمينها وفرض سيطرتنا عليها، هذا كله سيتغير عندما أتسلم أنا زمام الأمور، وسيكون لنا هيبتنا وسطوتنا وسنجعل الجميع يخاف من اسمنا.

ثم خرج من الغرفة مكتسياً بحلة من التباهي رافعاً وجنتيه وكتفيه وبالغاً بأنفته سقف الغرفة جاراً وراءه رداء الوزارة الملامس للأرض.

أما ولي العهد آشورحدون الذي يجلس في غرفته ويطلع على التقارير الواردة من نواحي البلاد ويراجعها، يدخل عليه فجأة الخادم الموكل إليه مهام الاتصال بينه وبين أحيقار بعد طلب إذن الدخول،

الخادم: سلامٌ يا سيدي لدي ما أخبر به.

آشورحدون: من أرسلك إلينا.

الخادم: أتيتُ من نبعٍ ارجواني عتيق.

آشورحدون: أنت رسول السيد أحيقار إذاً، أخبرني ماذا لديك.

(يأخذ الرسالة من الرسول) ثم أكمل: ما هذه الرسالة، لا أصدق أن عهد أحيقار سينتهي؟! لا أعلم لا أظن أن نادان جاهز لهذا، لقد تعجبت عندما شاهدته مرة كيف كان يقنع أبي بكفاءة نادان، غير أنّي لا أرى فيه ما سيغني بل على العكس، ولا أعلم سبب قيامه بذلك.

الخادم: قال إن هذا السبيل الوحيد لكشف حقيقة نادان وأتباعه ويطلب أن تردها بالموافقة يا سيدي، إضافة إلى أن مهمتك التي أوكلته بها ستأخذ من الوقت ما يتطلب غيابه زمناً طويلاً عن هنا مما سيثير الأنظار إليه وهذا كله بسيط إلى جانب ملاحظة سيدي سنحاريب لغيابه وترك أمر الوزارة فارغ، وفي النهاية فإننا بهذه العملية سنكسب الوقت من جانب ونكتشف جميع الأيادي الفاسدة في الدولة يا سيدي من جانب آخر.

آشورحدون: يبدو أنه يريد إظهار فشل ولده في هذا المنصب، سنرى في كافة الأحوال، فهو لم يخيب ثقتنا من قبل، أقالَ لك شيءً آخر؟

الخادم: نعم يا سيدي طلب مني أن أقول لك بالحرف أن الربان سيتأخر عن السفينة وسيلحق بها بعد فترة وجيزة وقال إنك ستعرف سبب هذا فيما سيجري من أحداث.

آشورحدون: فعلاً أن الأمر بدأ يشغل بالي، ما كل هذه الغرابة، طالما أنه أصبح هناك من يحل محله ويشغل مهامه لما لا ينطلق فوراً؟! ليكن خيراً أيوجد بعد شيء آخر؟

الخادم: لا يا سيدي، أتطلب مني أن أنقل له أمراً ما؟

آشور حدون: نعم قل له أن يتدبر أمور الوزارة ويأخذ الاحتياطات اللازمة تجاه وقوعها في يد لا تستحقها، فلا نريد أن تنهار البلاد بسبب طائشٍ تسلم السلطة، وإنه برغم طيشه سيجر ورائه العديد من المستغلين لما سيفعله من فساد، قل هذا فقط ليكن التوفيق مرافقاً لك.

(خرج بعدها الخادم من غرفة ولي العهد، وبعدها بدأت التحضيرات لتسليم نادان منصب الوزارة وصدور الإعلان الخاص به بعد وصول الرسالة إلى الملك سنحاريب، حيث كان تعيين أحد في الوزارة يترافق مع مراسم تنصيب وإلقاء للقسم الوزاري أمام الملك وبحضور العامة للشهادة على قسمه، وفي صباح اليوم التالي وسط ساحة مركز مدينة نينوى حضر الملك مع موكبه الخاص المكون من خمس عربات، اثنتان في الأمام واثنتان في الخلف وفي الوسط عربة تجر منصة يقف عليها الملك وأولاده بشموخ، دخل هذا الموكب شوارع نينوى وصولاً إلى الساحة، وهنا ترجّلَ الملك من عربته ومشى إلى وسط الساحة وصعد المنصة، أحضر له أحدهم زيَ الوزراء مطوياً بين يديه وفوقه إكليل من الريحان وريشة طاووس، ثم بدأ الملك بالكلام وقال:)

سنحاريب: سلامٌ من نور الشمس المبارك، يأتي لينير لنا النهار، وسلامٌ هو ما تصدره النجوم إلينا والتي تستطيع إرشادنا في الطرقات، سلامٌ بدأ من مصدر الكون وينتهي إلى صورته، مع كل حركة كوكب ومع كل نفسٍ تلفظه الكائنات، ومع كل تغريدة عصفور وصفيرٍ للرياح، بعظمة هذا الإبداع الذي حولنا والذي نهتدي به إلى الحكمة العليّة والتي يجب أن نتبعها في القيام بمسؤولياتنا، يقع علينا أن نخبركم أيها الملأ وكما يعلن كل حدثٍ من حولنا عن نفسه، نعلن لكم أننا قررنا تنصيب السيد نادان ابن السيد أحيقار وزيراً للدولة، بوصايةٍ من أحيقار وبتوجيهٍ منه، وبتحمله عبئ تعليمه وتدريبه حتى الآن والذي بدا لنا أنه أصبح جاهزاً لحمل المسؤولية، أطلب الآن قدوم السيد نادان ليتسلم مسؤوليته ومهامه الجديدة وليؤدي لكم أيها الملأ القسم العظيم الذي ستشهدون عليه والذي ستضعون فيه أعينكم عليه فإن صدق في قسمه ترضوا عنه وإن لم يفعل فتضعوا له حداً.

(يتقدم نادان بخطى ثابتة ويقف أمام الملك، يقوم حامل الزي بوضعه على نادان ويضع أيضاً اكليل من الريحان على رأسه ويعطيه ريشة الطاووس ليمسكها وفي ذلك الريحان دلالة على الحكمة التي يجب أن تبقى مرتبطة بالعقول التي تصدر القرارات، والريشة (ريشة الكتابة على ورق البردى) تدل على العلم الذي يجب أن يمتلكه صاحب المسؤولية، وقام نادان بتلاوة القسم.)

نادان: بالحب الذي نبع من أمنّا عشتار لهذه الأرض، وبالرحمة والبركة التي أنجبهما رحمها، وبالحكمة التي أرضعتنا بها، بولاية

سيدي آَشور الحاكم العظيم وبالحق الذي أتى به وأنار الظلمات، بنور الشمس المبين وبعزم ذراع الحق اليمين، أقسم أمام الملأ أن أسير في درب هذه الولاية، أن نعطي بالحق بالحب بالسلام بالقوة بالعدل، وأن نأخذ بالحق بالحب بالسلام بالقوة بالعدل، من غير مغالطة أو تشويه أو تزوير، وأن العوالم العليا شاهدة على كلامي وبعدهم سيدي الملك يشهد وبعدهم الملأ يشهد وبعدهم أنا أشهد، وأننا جميعاً شهداء على نتائج هذا الحدث وهذا القرار ويقع على عاتق الجميع أن يجتهد في تقديم ما يستطيع في سبيل الحفاظ على الحق على الحب على الحكمة.

(وهكذا أدى القسم الذي كان على أي أحد أن يتسلم منصباً ما أن يؤديه بهذا الشكل أمام الجميع، فهذا القسم يعد ميراث الحكمة الآَشورية عبر العصور، ثم ذهب ليصعد على عربة الوزارة وسار بها خلف موكب الملك إلى أن عادوا للقصر، وكان عندها قد ارتفعت شمس الظهيرة في صدر السماء.

كان قد شهد القصر تحركات غريبة بدأت بالظهور، البارحة واليوم، حيث لوحظ قدوم وفود من الهنود والفرس القاطنين وراء نهر السند ومن أرمينيا وحتى الأراضي الجنوبية لنهر النيل، وبشكل غير رسمي، لكنهم يدخلون بوساطة من الوزارة، وهنا يلاحظ أحد خدّام أحيقار الموكلين بمراقبة نادان ما يحدث وأتى إلى أحيقار بعد عودته من مراسم التنصيب ليطلعه عن الأخبار:)

الخادم: سلامٌ إلي سيدي الطيب، قد قمت بما أمرتني بفعله وأتيت من فوري لأطلعك على ما استجد من أخبار.

أحيقار: أهلاً بك يا رفيقي الوفي، إن وفاءكم هذا وحده ما يتطلب شكركم لسنوات، هات ما عندك.

الخادم: هذا واجبنا يا سيدي، أما بعد فإني قد عرفت سر هذه الوفود الغريبة التي تأتي إلى القصر، لقد رأيتهم يدخلون أمام الجنود بوساطة من الوزارة، لكنهم فقط يدخلون ويجلسون في قاعة التشاور الخاصة بالوزارة، غير أنهم لا يتكلمون فيها عن أي شيء له قيمة، حيث أخبرني من وكلته بمراقبتهم في الخفاء بذلك، أما بشأن نادان فإنه هو من قدم هذه الوساطة، لقد رأيت رسوله يعطيهم لوحاً مختوماً بختم الوزارة الذي يحمله نادان.

أحيقار: هكذا إذاً، هو من كان وراء هذه الاجتماعات، أكان لك نصيب في الحصول على سر هذا العمل؟

الخادم: أتشك في ذلك يا سيدي، إن نادان وبينما كنت أنتَ قد قدمت رسالة تسلمه لمنصب الوزير كان هو في المقابل يجهز رسالة سرّية يحيك فيها أمراً سرياً عليك، ولكن لا يوجد ما يخفى علينا، حرصت على أن تكون ألواح الكتابة القادمة إليه رقيقة بحيث تنفذ القصبة منهم بسهولة عند الكتابة، والتي تركت أثراً من الخدوش على الطاولة يظهر الكلام، بهذا يكون قد بقي آثار على الطاولة لا يتم الانتباه له بسهولة، ورغم الخطر الذي سيحل بي إن دخلت تلك الغرفة غير أن هذا لم يقم بردعي حيث دخلت أثناء وجوده فيها

بحجة أن الملك يرسل سؤالاً له عن سبب تأخره في إطلاع الملك على الأخبار الواردة من مصر ويطلب تقريراً منه فيها، وأنا على علمٍ مسبق أنه يقوم بالاحتفاظ بأخبار مصر دون إرسالها للملك ويبدو أن ذلك كان مقصوداً أيضاً، وكان هذا بعد خروج رسوله مباشرةً من غرفته فما كان منه إلا أن قام بتوكيلي بكتابتها وفقاً لمعرفته بأني أحد الكتبة في الوزارة، وهنا قمت باستغلال الفرصة في قراءة الأثر المتروك على الطاولة قبل نزوعي لكتابة رسالته، وكشفت ما خطط للقيام به. لقد كتب رسالة مفادها أنك تقوم بالتحضير للانقلاب على سيدي الملك وأن هذا سبب قدوم الوفود الغريبة إلى القصر، حيث يضعك في موضع صاحب الوساطة لهم وبأنك تجتمع معهم للتعاون وطلب الدعم منهم بهدف الظفر بمنصب الملك، وهذا ما يدبره نادان يا سيدي.

أحيقار: آه يا بني، صدق من قال إن الذي لا أدب له ولا حياء لا يمكنك وضعهم فيه، هل تذكر أي تفاصيل أخرى متعلقة بالرسالة؟

الخادم: لقد أخذ ذرائعه من قيامك بالسماح لمن هم غير آشوريون بالترقي والوصول إلى مناصب إدارية، حيث يذكرها كدليل على صحة كلامه في أنك تسترضيهم وتمهد لهم الطريق في أن يساندوك في هذا الانقلاب،
وقام أيضاً بتحضير رسالة بعثها معي إليك، يخبرك أن الملك يأمرك بتجهيز قواتك وإحضارها إلى "بقعة نسرين" ولكنها لا تحمل ختم الملك ويبدو أنها من تأليفه.

أحيقار: يا له من متكبر ومغرور، إن من نصبتهم أنا في الإدارة كان لهم الفضل في تماسك الدولة، إن أقلّهم خبرة قادر على حل مشكلات معقدة تواجهها الدولة يومياً أثناء عملها، انظر كيف تصبح الأمور عندما تعتمد نظرة صاحب القرار على النسب والأصل بدل أن تعتمد على العلم والمعرفة، يظن أن نسبه الآشوري يمنحه فضيلة وتفوق على الأقوام الأخرى، وربما يعود عدم رغبته بالانتساب لي كوالد له إلى كوني آرامي شامي، ولست آشورياً، إضافة إلى أني لم أرَ أنه يستحق أن يرث ممتلكاتي التي أعطيتها لأخيه الصغير، انظر إلى حال الدولة في حال تسلم مثل هؤلاء السلطة، سيتم تفضيل ناس جهلة على العلماء فقط لأنهم ذا نسب معين، أو يمتلكون ثروة ما يمكن الاستفادة منها، وسيتحكم الجاهل بمصير العالم، وستنبع القرارات من الساذجون،

أسفي عليك يا نادان ويا لسخطي منك، قد ظهر وبان ما تحيكه.

الخادم: بماذا يأمرني سيدي؟

أحيقار: يا بني، تابع مهمتك، ولا تنسى، أنت تعلم ما عليك تقديمه من دعم وعون لأي أحد من أولئك الذين يكرههم نادان من الأقوام الأخرى الذين نصبتهم أنا، في حال واجهوا أي مشكلة بدرت منه، فالذي يحاول طرده قم بالتواصل مباشرةً في شأنه مع آشورحدون وأضمن لك أنه سيستمع، أو سيستجيب ولكن بطريقة خفية، أي أنه قد يسمح بقرار الطرد أن يصدر غير أنه يجعل للمطرود وصاية على المنصب في الخفاء عن طريق أحد أتباع آشورحدون

الآَشوريون، وذلك لضمان حمايتهم من ظلم نادان، فربما في حال لم يتم طردهم يخطط لقتلهم. هذا ما تفعله نزعة الغرور، تتضخم لتجعل الفرد تقدم على قتل بريء ظناً فقط أنه يستحق أكثر من الضحية، يا لتفاهة وحمق من يفكر بهذه الطريقة، ويا للظلم الذي سيحل في حال امتلكت السلطة عقولاً مثل هذه، هذا إن اعتبرناها عقولاً.

الخادم: إني أقر بحكمتك يا سيدي وأشهد بعدالتكم وإحسانكم، لكن لدي سؤال إن أذنت يا سيدي ليس من باب الشك بل من باب أني أقلُّ معرفة... لماذا كل هذا الجهد في الحفاظ على نادان؟ لما لا تكشفه ويتم عزله وينتهي الأمر؟

أحيقار: هذا يا يأتي لعدة أسباب يا بني، أحدها هو كشف الأيادي الفاسدة جميعها، فلو قمنا بفعل ما اقترحته وعزلنا نادان فإننا لن نعرف أتباعه ولن نعرف أيادي الفساد الأخرى في الدولة ولا أولئك الذين يكرهوننا ويستعدون لتدبير المكائد لنا، وسببٌ آخر أيضاً وهو ضمان حمايتي حيث أنني بصفة وزير الدولة التي شغلتها قد أواجه تهديدات عدة في حال علم أي أحد من العامة بمكاني وتحركاتي، أما إن ظهر وصدر للعلن خبر غيابي عن هذا العالم، ودفني في رحم الأرض فلن يعد يكترث أحد لي، لن يتم إرسال طلب البحث عني، ولن يعرف المكيدون أنني أسير بأمان وأقوم بأداء مهمتي بعيداً عن أذاهم فنحن أمام مهمة حساسة وتحمل لنا في طياتها أعداء كثر.

الخادم: هكذا إذاً، هل تخطط لتزوير خبر موتك؟

أحيقار: صبراً يا بني، ستكشف لك الأحداث عن كل شيء.

الخادم: إن أمركم لسمعٌ مطاع يا سيدي، سأبذل أنا وبقية الزملاء كل استطاعتنا في الحفاظ على دولتنا، وعلى حكمتك فيها.

أحيقار: حقاً إنكم أنتم أولادي الحقيقيون (وأعطاه قبلةً على رأسه)، اذهب يا بني، واستمر في عملك الشاق هذا، وأرسل لي رسولي فلدي ما أبعثه للملك.

الخادم: أمرت يا سيدي.

(وما إن يخرج الخادم حتى وصل الرسول بعد وقت قليل ودخل ليعلم ما يطلبه منه أحيقار.)

أحيقار: لقد كتب نادان رسالة يفتري فيها علينا، يقول إننا سبب اجتماعات الغرباء في القصر، ومنذ قليل أتى خادمي ليخبرني أن نادان هو من أعطى إذن الدخول لهم، ويجهز رسالة يقول فيها أني أجهز لانقلاب، لذا أخبر سيدي آشورحدون بشأن هذه الرسالة وأخبره أيضاً أن نادان سيطلب محاسبتي، وقد زور رسالة ملكية إلي لتجهيز جنودي عند "بقعة نسرين" والذي أرجح أنه فخ يريد إيقاعي به، فقل له أن يتكتم عن الحقيقة وسنكمل مع نادان هذه المسرحية وسيوقع بي سيدي الملك والذي سيصدق نادان وعندها سيعمل على محاسبتي فقم بالإشارة إلى آشورحدون أن يصرّ على ضرورة محاسبتي ويحث لملك على إصدار قرار بإعدامي.

الرسول: ماذا تقول يا سيدي كيف لنا أن نوافق على ذلك، طالما علمنا بأن هذا كله زوراً لماذا تصر على إظهار نادان وكأنه محق؟

أحيقار: هنا تكمن اللعبة، سيصدر سيدي القرار بإعدامي، بينما نرتب تلفيق هذا الإعدام بالتعاون السرّي مع آشورحدون من دون علم نادان أو الملك بأني حيٌّ أرزق، وهكذا أذهب متخفياً لألحق بمهمتي، هكذا أخبره بالحرف،
ليقم في البداية بوضعي في الزنزانة إلى حين إصدار القرار، لتكتمل المسرحية أمام نادان، وليساعد آشورحدون بتهريبي خفيةً من أجل القيام بالمهمة التي أوكلني بها، بينما سيظن جميع من في المملكة أنه تم إعدامي وأظن أن نادان لم يقم بإرسال الرسالة بعد لأن الملك ليس في غرفته، لذا سارع إلى ولي العهد وأخبره ما قلت.

صحيح.. أرجوك أخبره أيضاً أني وضعت رجالاً يديرون مهام الوزارة في الخفاء وسيقومون بالتعاون مع سيدي ولي العهد بأنفسهم ويخبرونه تفاصيل ما سيعملون به، وسيقومون بكشف ما يخفيه نادان عن الملك، وسيرتبون كل ما يلزم لضمان عدم فساد الحكم قدر الإمكان، سيذهبون له ويخبروه ذلك بكل الأحوال، لكن لا بأس من تأكيدك عليه.

الرسول: أمرك يا سيدي.

(خرج الرسول من الغرفة مسرعاً، يحاول البحث في كل مكان عن موقع ولي العهد آشورحدون، إلى أن عَلِمَ من أحد الحراس أنه ذهب لزيارة والدته، وهي امرأة بابلية عرفت بالحكمة والطيبة والسمعة

الحسنة، وَجدَ الرسول في ذلك فرصة حيث أن هذا المكان مناسب جداً ليخبره الأمر بأمان دون إثارة الشبهات، فكان خدم أحيقار كثيراً ما يخدمون أميرات القصر وأمهات الحكم، وخاصةً والدة وأخوات الملك آشورحدون حيث كثيراً ما يعتمدون على خدم أحيقار لما ظهروا عليه من ثقة وعزة وولاء وكثيراً ما كانوا يعتمدون عليهم في تقديم المساعدات لفقراء المدينة، فكان الرسول هو أحدهم ويُعَد وجهه مألوف على عائلة البيت الملكي، والذي تعكس جدرانه الكبيرة شمس العصر الهادئة في هذا الوقت، وعليها نُقِشَت وصُوِّرَت أساطير التاريخ، محاطاً بأشجار النخيل الباسقة، ويظهر خلف بوابة السور درج كبير يقود لباب البيت الملكي، وأمام البوابة يقف الحراس بينما ظهر لهم الرسول الذي قد وصل إلى القصر في خضم هذه الأحداث المتسارعة.)

الرسول: سلامٌ أيها الحارس، أيمكنك فقط أن تقول للملك أن هناك من أتى من نبعٍ ارجواني عتيق.

الحارس: ماذا تقصد أيها الرجل، أتسخر مني.

الرسول: لا يا سيد أنا أعتذر إن شعرت بذلك، فقط أخبره هكذا بشكلٍ حرفيّ لو سمحت.

ذهب الحارس وأخبر الملك وعاد ليخبره بالرد.

الحارس: تفضل إنه بانتظارك، أعتذر على اعتراضي لطريقك.

يدخل الرسول إلى حيث يجلس الملك، والذي استقبله في غرفة للضيوف يجلسان فيها لوحدهما ونقل له ما أوصاه سيده بنقله من أخبار، وأتى رد ولي العهد آشورحدون:)

آشورحدون: لقد بدأت الأحداث التي تنبأ بها أحيقار بالظهور، علينا إذاً التحضير وإعداد العدة لخوضها، لم أكن أتصور أبداً أني سأقوم بدعم قرار إعدام تجاه أكثر شخص مخلص ووفي للدولة والعدالة، من كان يتوقع أن خلاص شخصاً ما وضمان حمايته يأتي في قرار إعدامٍ له، يا لغرابة هذه الحياة، لكن يا لنباغة هذا الرجل وفطنته.

الخادم: أنا رهن إشارتك يا سيدي، بما تأمرني أن أفعله؟

آشورحدون: إليك ما ستقوم بفعله أيها الرسول، قم بتحضير خيل مجهز بالمتاع استعداداً لأخذ السيد أحيقار من أجل اللّحاق بقافلة الحكماء إلى أوغاريت، وقم بإعداد خيلاً لك أيضاً لترافقه وجهز قوسك ونبالك، وتأكد من حدة سيفك. أما بعد فعند عودتي إلى القصر سأجد رسالة نادان التي سأتلقاها أنا نيابة عن الملك وذلك لأنه الآن يشرف على تدريب الجنود، لكني سأخبر الملك عند عودته وسيخبره نادان بالتأكيد بالتحقق من صحة الانقلاب الذي يعده أحيقار وذلك بإعداد كمين لأحيقار في "بقعة نسرين" حيث أخبر أحيقار بتجهيز جنوده هناك.

(يعد آشورحدون وأحيقار خطة لاستثمار هذا الكمين لصالحهما، والقيام بخديعة تضمن اختفاء أحيقار عن الأعيان وضمان تنفيذ مهمته الموكلة بأمان.)

يكمل آشورحدون: سأشير على الملك بالذهاب وستثبت التهمة على أحيقار، وسنقبض على أحيقار، وسيقوم أبي غالباً بإصدار قرار الإعدام في حقه في اليوم التالي وسأحرص على ضمان تنفيذه في السجن عند فجر اليوم التالي أي بعد غد، احتراماً لما قدمه أحيقار من خدمات سابقة للدولة، وسيكون هناك متسع من الوقت ليقوم نادان بزيارته وذلك لأجل التأكد من وضعه في السجن، وفي الفجر وحيث يمنع على أي أحد الاقتراب من مكان الإعدام، سنقوم بتحرير أحيقار وسيتم تعليق جثة ميتة بديلة في حبل المشنقة، ولضمان ذلك أخبر المسؤول عن مراقبة القسم الجنوبي من سجن نينوى عن تفاصيل هذا العمل، سأكتب لك هذا الأمر على لوح يحمل ختمي كي يتأكد من أنّك رسولي، إن وراء ذاك الرجل قصة جمعته مع أحيقار، حيث أنقذ أحيقار حياته من قبل وساعده على تجاوز محنته، سأكتب له أن يقوم بالإفراج سراً عن أحيقار بعد مضي منتصف الليل، أي قبل تنفيذ القرار بقليل، ويقوم بتوصيله من خلال السراديب إلى حيث تنتظره أنت مع الخيل، وليجلب جثة أحد قطاع الطرق الذين أعدمناهم وليعلقها مكانه، ولن يتم الكشف عن ذلك إن لم يخب ظني، فلا يحق لأي أحد أن يقترب من جثة المحكوم عليه إلا بأمر ملكي، فقد شددنا على ضمان عدم المساس بحرمات عالم الأموات، وبهذا نمنع عن أي أحد كشف حقيقة الجثة والتي سنقوم بتغطيتها وفور إخلاء المكان ستؤخذ لتدفن حيث لن يعلم أحد وبهذا نكون قد أنهينا حدث إعدام أحيقار، ولم

يبقَ أحد يعرف بالحقيقة في هذه المنطقة إلا أنا والحارس وبعض خدمة أحيقار الأوفياء.

وأما عن اللحظة التي سيعود فيها أحيقار بعد أداء مهمته فسوف تحمل حساباً عسيراً لنادان لن يستطع الإفلات منه، يوم لن يشفع لأفعاله أيّ شيء.

مهامك الآن إذن واضحة، سنكتب رسالتنا إلى الحارس ثم ستنطلق من فورك.

(وما إن انتهى كاتب آشورحدون من كتابة الرسالة حتى قام بتسليمها للرسول وأمره بالانطلاق فوراً وقام بإعداد عربته من أجل العودة للقصر، لم يكن منزل والدته بعيداً عن القصر، لذا كان وصوله سريعاً حتى أنه وصل مع بدء الغروب، ولم يمضي كثيراً حتى دخل سنحاريب القصر، ووجد رسالة مصدرها الوزير الجديد نادان وهنا بعث سنحاريب في طلب نادان ليأتي إليه، وما إن أتى حتى بدأ نادان بالكلام بجدية وانفعال كما لو أنه قام بكشف مؤامرة كونية وأنه قام بتخليص الدولة من دمار رهيب.

" هكذا يتكلم المخربون، يحمل كلامهم دائماً بطولات وأمجاد وراية بيضاء يضعون صورهم عليها، ويظهرون أنفسهم على أنهم قاموا بأعمال عظيمة وأنقذونا من مؤامرة كونية، وسبب كل هذا النفاق هو معرفتهم بأنهم هم المخربون، وأحسنَ ما في الأمر أنهم يحسبون من يستمع لهم سفيهاً حتى يصدق هذا الهراء، إني لو لم أرتدِ تاجً يُلزِمني بالحكمة لمزقت هذا اللسان البائس ولولا صبري الطويل

لصفعته واحدةً من يدي جعلت منه مجرد نقشاً ملتصق بالحائط، هؤلاء المنافقون حقاً هم مستفزون جداً" (هكذا قال آشورحدون في خلده وهو يستمع لكلام نادان.)

وكما هو مخطط احتج نادان بالوفود الأجنبية على أنهم قاموا بتلبية دعوة من قبل أحيقار، وفي خضم تأخر الوقت لم يكونوا داخل القصر لحظتها فقام نادان باستجواب الحراس بحضور الملك سنحاريب ليقرّوا بأنهم رأوا الوفود تدخل بتوصية من الوزارة، فأعطى الملك أمراً بعدم السماح لأي أحد الدخول من دون أمرٍ منه أو من النائب عنه في غيابه، ثم أخبرهم نادان بأن أحيقار يعسكر بجيش عند "بقعة نسرين" مدعوم من ملوك الهند والفرس ومصر وأنه يستعد للانقلاب على الحاكم غداً، وهنا غضب سنحاريب وقام بإعداد جيش وأمر بالجهوزية التامة والانطلاق عند الفجر.

انطلق جيش سنحاريب عند الفجر وذهب إلى الجبل حيث قام نادان بإخبار أحيقار بالذهاب إليه في الأمر الملكي المزور، وكان آشورحدون يرافق الملك، وهناك وجد سنحاريب أحيقار برفقة مجموعة من الجنود فقام بالقبض عليه هناك وقال له:)

سنحاريب: أهكذا تعد لخيانتنا يا أحيقار! بعد صداقتنا القوية وكل الثقة التي منحناك إياها، ماذا فعلنا لك حتى نلقى هذا الجزاء؟

أحيقار: لم أفعل شيء يا سيدي أنا هنا تبعاً للوصية.

سنحاريب: يكفي يا سيد أحيقار، لقد رأينا ما يكفي وقرأنا كل ما كتب.

(ثم توجه إلى الحراس وقال): اقبضوا على أحيقار وضعوه في السجن الجنوبي (وهو القسم المخصص للقادة والأقوياء من الأعداء)، وليعاني عذاب القلب الذي قام بجرحه وليهلك في خيالات أطماعه التي سعى لها، وسنصدر قراراً غداً في شأنه، لأني الآن لا أتمالك أعصابي، وأخشى من إصدار قرارٍ الآن فترون رأسه مفصولاً عن جسده، وهذا لا يليق بحاكمٍ عادل.

(يأخذ الحراس أحيقار إلى السجن ويأمر نادان بإكمال أعمال الوزارة كي لا يتعطل عملها، ولكنه بالطبع لم يضع أي لمسة له فيها ومضى جالساً في كرسي الوزارة يتمتع بسلطته وبغرفته الجديدة ويتبجح بالمال والسلطة، أما آشورحدون فقد شرع في التخطيط وترتيب العملية المتفق عليها بينه وبين أحيقار، وقام بوضع خدام لنادان يرسلون اشورحدون أخباره ويقومون بتعقبه، إضافة أيضاً إلى قيامه بتوظيف مسؤولون جدد في منصب أقل شأناً من الوزير لكنهم يتسلمون مهاماً عدة من مهام الوزارة فيضمن من خلالهم القيام بها عوضاً عن نادان، وفي حال أعطاهم نادان أوامر في موضوعٍ ما يرجعون لمشورة آشورحدون أو نوابه، وبهذا الأسلوب من الإدارة وقيامه بتجديد وتطوير هيكلية النظام عالج آشورحدون المشكلة التي كانت ستتسبب في فساد الحكم وانهيار الدولة.)

الكهنة في أوغاريت

السجن الجنوبي _ قصر نينوى
الساعة: 3 صباحاً

نبوسمك (مسؤول السجن): حان الوقت يا سيدي، لقد اقترب موعد تنفيذ قرار الإعدام الذي أصدره الملك نهار البارحة، (فتح باب الزنزانة ثم أكمل) كنت أود لو أستطيع القدوم معك، تعلم أني أفديك بروحي ولو أنك في هذه اللحظة تأمر بمرافقتي لك لأترك كل شيء وأذهب معك.

أحيقار: أنت تخدمني هكذا يا بني، إن أفضل ما يمكنك أن تخدمني به هو أن تبقى على وصيتنا مهما اشتدت وبلغت الظروف، أن تبقى شمعة لا تنطفئ مهما اشتد الظلام، فنحن يا بنيّ على درب الفناء، أما هذا العالم فيتجدد ويستقبل زواراً في كل جيل، ولا تعلم قد نعود لزيارة هذا العالم، لكن الأهم أن تبقى أنت. في حال لم يكن تغييرك نموّاً للأفضل، فلا تتغير، وهذا ما أتمناه، وهكذا تقوم بتنفيذ وصيتي فلا تخيب ظني. إنك حتى بوقفتك هنا أمام الأبواب في الظلمات

أنت قد تغير مجرى العالم يا بني، كما فعلت في هذه اللحظة، لذا لتبقى كما أنت.

نبوسمك: سيدي، هناك شيء أخير بعد يطلبه منك ولي العهد، أنت الآَن على مشارف مهمة عظيمة ستمهد لعمل قد يكون كبيراً على مستوى الدهور، ومن أجل ذلك يرجو منك الملك _*لضمان تحقيق ذلك* _ كتمان هذه الأمور جيداً تجنباً لمعرفة وجود اتفاقاً بينك وبين ولي العهد، سيتعلق الأمر فيّ أنا شخصياً وأني من قررت إخلاء سبيلك بقرارة نفسي، وحاول تجنب ذكر سيدي ولي العهد آشورحدون.

أحيقار: لا تقلق لقد مهدت لهذه القصة جيداً، سيعلم اللاحقون من هذا العالم أن ما حدث مجرد افتراء من نادان وأنا بدوري هربت منه، وأنك من ساعدني، وسأخبئ خلف سطورها الحقيقة التي لن يكشفها سوى أهلها، وستكون للرواية أحداث مختلفة وسيظنون أنها حادثة افتراء حصلت في عهد الملك، لن يعلم أحد بأنها خطة محاكة لإخفاء مهمتنا، مهمة ستسطر تواريخ وعهود أزلية نحو الأبد.

(أوصله نبوسمك إلى حيث يلتقي بالرسول وانطلقوا بخيولهم في ظلمات الليل، بينما ذهب الحارس وأحضر جثة أحد قطاع الطرق الذين تم إعدامهم سابقاً، ووضعها في السجن الذي كان أحيقار داخله، وبعد برهة سمع أصوات ضجيج تأتي من دهاليز السجن، نظر إلى الميقاتية التي كانت موضوعة في السجن ليجدها تشير إلى

الساعة الرابعة، حينئذٍ علمَ أن الحضور بدأ يأتي لتفقد تنفيذ أمر الإعدام، وكان نادان على رأسهم، وبدا على وجهه علامات الارتياح عند رؤية الجثة داخل السجن بدل أن يحزن _ *على الأقل* _ ليظهر خدعته بأن من رباه طيلة هذه السنوات كان مخادعاً، لكن هذه الراحة التي ظهرت عليه تُظهِر من هو المخادع الحقيقي.

وهكذا بهذه اللحظات توقف الزمن عن المضي هنا ليبدأ الآَن رحلته في مكان آَخر، حيث بعد أن شدَّ أحيقار الرحال مع رسوله بالخيل المسرعة لاقوا قافلة الحكماء في موقع قريب من مدينة أوغاريت على الطريق، وهنا تكون قد وصلت بنا الأحداث إلى مدينة الشمس والخلود... مدينة الربيع وسنابل القمح... إلى الأرض التي لا تعرف الجيوش والقتال، بل تعرف الزراعة والحصاد والملاحة والتجارة، إلى أرض نبتت فيها أزهار السلام، ها قد وصلت بنا الأحداث إلى أوغاريت.)

أوغاريت، 20 أيار 683 ق.م
9 صباحاً

حارس البوابة: كيف يمكنني أن أخدمكم يا سادة؟

الرسول: أتيت ومعي قافلة من الكتبة والحكماء والمعلمين، هذه أول زيارة لنا إلى هنا فهل يمكنك أن تطلعنا على المزارات الدينية هنا؟

حارس البوابة: مباركٌ قدومكم يا سادة نعم بالطبع تفضلوا، يمكنكم الذهاب شرقاً في هذا الطريق ثم على بعد زقاقين شمالاً هناك مزاراً للأم عشتار علينا من ذكرها السلام، وإن اتجهت غرباً في هذا الزقاق هناك ستصل إلى مزاراً للسيد بعل بوركنا بمعوله، وإن اتجهت لوسط المدينة ستجد مقابل دار السلطة داراً كبيراً بعض الشيء وهو مزارٌ لمولانا إيل عظيم الشأن، وبالاتجاه بعده شمالاً وتحتاجون عندئذ لقطع مسافة لا بأس بها نحو أطراف المدينة الشمالية تجد مزاراً واسع مع قبة جميلة وهو مكرس لسيد العدالة الفاضل شمش بنوره العزيز.

الرسول: شكراً لك أيها الحارس أرجوك أن تتفضل من هذا الخبز الذي لدينا، لقد أصرّ السادة أن تأكل منه، نحن لا نملك المال فأرجو أن تعذرنا وتتقبل مننا هذا الخبز، قد عرفنا أن أوغاريت لطالما أطعمتنا من حنطتها اللذيذة ولا يسعنا أن نوفي حقها بشيء من خبزنا لذا أرجو أن تقبلها منّا كهدية بسيطة، خذ بالهناء والشفاء.

حارس البوابة: قبلتها يا سيد، شكراً لكرمكم.

(وبعد مضيهم بعيداً نظر الحارس إلى زميله قائلاً):

الحارس: أتعلم! كم يا ترى يقضي الناس أياماً عصيبة وصعبة، وربما يمرُّ عليهم ضائقة كبيرة جداً، لكن حدثاً بسيطاً كهذا يشفي قلوبهم، ويداوي جراحهم، أو على الأقل يجعل من قلوبهم تطمئن وتهدأ ويتخدر ألمها، كم يحتاج الناس إلى هكذا لحظات، إن هؤلاء يصنعون النعيم لمن حولهم، لا يحتاج النعيم إلى مال وقصور،

يحتاج لأن يكون لمسةً شافيةً في اللحظات الصعبة كهذا الذي صنعوه هؤلاء، مجرد حدوث هذا الموقف كفيل بأن يرسم الابتسامة على شخص أتعبته الهموم، لأنها ببساطة أتت في اللحظة المناسبة، يشعر الإنسان وكأن هناك من يشعر به في الوجود، أو على الأقل يحترمه ويقدره، بينما كان يشعر بعكس هذا الشعور تماماً، كان يرى الدنيا من حوله سواداً، ولكن بلحظة واحدة يتلاشى هذا السواد كلّه، يمحوه شخصٌ قام بمنحك الحب، كم هو عظيم هذا الحب، يأتي من بين الركام والحطام الذي تهاوت به أفكارنا ليصنع عالماً جديداً لنا، يخبرنا أن الحياة هكذا، لا تخلو من المحن، لكن الحب يبقى موجوداً.

(مشت قافلة الحكماء وسارت نحو مقام شمش البعيد إلى أطراف المدينة، حتى بدأ يقترب شيءً فشيءً، كانَ في حيٍّ بسيط بين بعض البيوت الشبيهة بالبيوت الريفية تتسع كل منها إلى حديقة بسيطة تحيط بكل منزل، وكن يقع المقام على مرتفع خفيف وسط ساحة خضراء، تحيط به الأشجار والتي توزعت على شكل شجرتي زيتون في الخلف وشجرتي زنزلخت[i] في الأمام، إضافة إلى شجرتين عملاقتين من الصنوبر على الجانبين ويبدو أن أعمارها تقدر بالمئات نسبةً لهذه الأحجام وثخانة الجذوع، لم يكن معبداً كبيراً، كان مستطيلاً تتوجه بوابته نحو الشمال، يتألف من غرفة واحدة ويلتصق بالجدار الغربي من الخارج مذبح وغرفة مطبخ صغيرة، وعلى السقف يوجد قبة زجاجية تسمح بمرور الشمس نحو

[i] أزدرخت شائع أو الليلك الهندي أو سباحي، شجرة تشبه المظلة معروفة بكثافتها.

الضريح الممثل لسيد العدالة شمش داخله، ويقابل المعبد من الجهة الشمالية حمام عام للاغتسال والاستحمام يقطعهما ساحة واسعة بعض الشيء، وقد حطوا الرحال فيها ومهدوا للاستراحة والاغتسال استعداداً لدخول المعبد بما يليق بقدسيته وطهارته.

وعندما وقفوا أمام المقام كانت قد حلّت الظهيرة وارتفعت الشمس في قبة السماء لتتخلل أشعتها بين أوراق الأشجار ويتحول المشهد إلى نسيج من الأشجار والنباتات تثقبه إبرٌ من النور المتلألئ، حينها وأمام هذه العظمة سجد كل منهم أمام البوابة وألقوا ترانيمهم المقدسة على ألحانٍ تنطلق صداها من ناي يعزف عليه خادمهم، وحين فتحوا البوابة ارتفع صوت الناي أكثر... وأخيراً دخل الحكماء الاثنا عشر إلى المعبد ليجدو منظر الشعاع المهيب الذي يدخل من القبة على الضريح، "حان الآن وقت إعداد رسالة المحبة، والتي ستنتقل عبر العصور" قال أحيقار، وتبعه سينسو بالقول: "أخرجوا الألواح من صناديقها وأحضروا البردى واللفائف، ولنقم بتدوين ما وصلت له أيدينا وأعيننا، ولنحمي معارفنا ونرسلها برعاية شمش وحفظه لتبقى نوراً حياً أبد الدهور"،
جلسوا على الأرضية بشكل دائري وحولهم الرسل والكَتَبة الذين معهم، ومن ثمَّ افتتحوا النقاش.)

سينسو: ماذا تقولون حول الأوضاع أيها السيدات والسادة؟، ها نحن الآن في مهمتنا ومهد لقائنا ومنبع مائنا ومخرج حكمتنا، فليخرج إلى فمكم ما في جوفكم.

آشورحماة: لدي في الحقيقة ما أخبركم به على لسان السيد آشورحدون حيث كان يود أن يخبركم حول الموضوع بنفسه، لكنه فضلَّ تأجيله خشيةَ أن يُفشى بغير قصد، وحرصاً على أمانكم ممن حولكم، لكنه أطلعني عليه وأوصاني بإخباركم به فور وصولنا إلى هنا، لطالما مضى السيد في تدبير الإدارة وإصلاح البلاد وهو لم يترك قط في صغره داراً للعلم لم يبحث في ألواحها، ولم يترك سلاحاً لم يتعلم رفعه واستخدامه، وما ترك سهماً لم يصب به هدفه، وبحث عن شيوخ الحكمة، وتعلم لدى حكيم يقطن بحيٍّ بسيط في أطراف المدينة، تعلّم منه الفن والأدب والفلك والحكمة، وأطلعه على أسرار الأساطير ومعانيها، إلى أن بلغ وشبَّ وأصبح أميراً قوياً، حيث امتد بصره ليشمل كل ما حاطت به أشعة الشمس، وأحكم سلطانه على البلاد ونشر عيونه عليها من قاصيها إلى دانيها، من حبات الرمل إلى أكبر الصخور، بل وحتى أصوات النمل بات يسمعها وجعل من الطيور ترسل له رسائلها، حيث وضع منهجاً لإدارة البلاد أثبت فيه لوالده أنه الرجل المؤهل لخلافة الحكم، فما كان والده يعاني من شدة في معركة إلا وأشار عليه آشورحدون بالحل، وما نالت منه معضلة في وضع الخطط الإدارية بينما آشورحدون إلى جانبه، كل ذلك كان ضماناً جيداً لتأمين وراثة العرش له، غير أن هناك شيءً واحداً فقط سيسبب مشكلة، "الفتنة"، نعم يا سادة، هذا ما يريد إخباركم إياه، لقد كان التكبر عدو الإنسان الأكبر منذ الأزل حتى دوام الأبد، التكبر الذي يجعل من الإنسان عدو نفسه، ويخلق فتناً لا تسبب إلا الدمار، كان صغر عمر آشورحدون سبباً في غضب

سيشتعل في صدر إخوتنا، فهو وكما تعلمون أخي الأصغر ولدينا أخوين من والدنا غير شقيقين يكبراننا، وبينما هم ينحدرون من أمٍّ آشورية، وُلِدنا نحن لأمنا "نقية" الآرامية الجميلة، وقد رأى إخوتي أحقيتهم بالخلافة ليس لكفاءتهم ولا لعلمهم ولا حتى لطول قامتهم، لكن لنسبهم الآشوري، يظنون أنهم يكسبون شفاعة تخولهم بالتسلط على الآخرين، لا يعرفون أن آشور لو شاء لأقام من الأحجار أولاداً له يحملون نسبه، لأن الانتساب له يكون بالحكمة والعقل وليست بالآباء والأمهات، وأخي يا سادة قد لاحظ أنهم يحيكون أمراً ما ويسعون خلف شيء يريد كشفه، ويخشى على تدهور الحكمة وضياعها بسببه، فأتته الرؤية التي أطلعكم عليها في الأيام اللاحقة، ليباشر تحضير رحلتكم هذه، وها أنا قد أنبأتكم، وما علينا فعله هو الثبات في مهمتنا حتى النهاية، وعلينا أخذ الحيطة من الغدر التي طالت يده نفوس البشر، ولكننا سنقف جداراً مانعاً أمام هذه اليد.

سينسو: ها نحن أمام محكات هذا الزمن، هذه المحكات التي لطالما عادت للظهور في كل زمان ومكان، وحتى داخل كل عائلة، المحكات التي ستجعل بعض النفوس بيد أهوائها، بينما ستجعل البعض الآخر مظلومة من قبلهم ومتذللة، وقلة قليلة من البشر لن تنتمي إلى أي منهما، إنهم لا يتأثرون بالظروف والمحكات بل يعتبرونها فرص لإصلاحهم من الداخل وتكوين مبادئهم، هؤلاء الشاهدون على الحقيقة، هؤلاء الذين يتصرفون تبعاً لعقولهم وحكمتهم وليس بناءً على أهوائهم أو على إخضاعهم، هؤلاء الشاهدون سيقفون

صامدون في هذه المحكات، لا يغيرون مبادئهم وليس لهم وجوه غير وجه الحقيقة، يعيشون حياتهم للخير الدائم ولا شيء غيره، ولأجلهم هم تحديداً علينا نقل الحقيقة لهم، هم بالطبع يعرفون الحقيقة، لكن لابد أن نرسل سلاماً لهم على طريقتنا.

(صدور صوت خطوات قادمة من الخارج رافقه انبعاث لروائح البخور، فظهر من جهة البوابة ظلال لثلاثة أشخاص قادمين)

شين: ها قد أتيتم يا عيون الماء، بتّم الفيض من نهر المحبة لهذا العالم.

زاو: تعالوا وتعطروا من البخور وامنحوا لأرواحكم السكينة.

لالو: لابد أن السفر أتعبكم، أحضرت لكم هذا الوعاء من الحنطة الأوغاريتية المشهورة، تفضلوا ولتحل على جسدكم البركة.

(أعطى لالو الخبز لكل واحد منهم ووضع الوعاء في الوسط وجلسوا على الأرضية حول الوعاء.)

شين: أنا خادمكم شين أتيت من الشرق من بلاد التشي[i].

زاو: وأنا خادمكم زاو أتيتكم من وادي السند[ii] وأحمل لكم سلاماً من أرض شيفا[iii].

لالو: وأنا خادمكم لالو أتيت من وادٍ في أقاصي الغرب والجنوب، بين غابات كثيفة تسمى بو[i] في لغتكم على ما أعتقد.

---

[i] الصين.

[ii] الوادي المشترك بين الهند وباكستان وإيران اليوم.

[iii] أحد الرموز المقدسة في الديانة الهندوسية، يعد شيفا شخصاً يرمز لمعاني التناغم والحكمة في الكون.

سينسو: حللتم أهلاً بين إخوتكم وأخواتكم.

(وبعد أن قام كل منهم بالتعريف عن نفسه.)

سينسو: يبدو أن آشورحدون كان مرشحاً كبيراً ليستطيع أن يجمع هذه القطع المتجزئة في كل بقاع الأرض لتعيد بناء جسدها المتحد من جديد، هذه إشارة على أنه يكافح في سبيل الوصول للمعرفة الحقيقية والحفاظ عليها... أن تجمع اثنا عشر حكيماً من مختلف بقاع الأرض لأجل الحفاظ على المعرفة لأمرُ يوضح هدفه الكبير وعظمة إصراره وحقيقة استحقاقه، يدلُ على عظمة مرتبته التي سيكتشفها يوماً ما.

أنتم تعرفون يا سادة أنه مهما بلغ الزمن واستمرت الحياة ومهما دُمِرَت حضارات واندثرت كتابات وحتى لو تلاشى كل حرفٍ كُتِبَ مسبقاً فلن يكون مانعاً للإنسان من اكتشاف المعرفة الحقيقية، ولا حاجة لوجود من يحافظ عليها، لكن نشرها والحفاظ عليها وتحمل مسؤوليتها دلالة على النية الصافية والرسالة السامية والشخصية العظيمة، ما يمكن ملاحظته أن هناك من يهتم بعقول البشر وفي تعليمهم وتحقيق الارتقاء لهم ويسعى في رفع مكانة المعرفة والعلم وكسر كبرياء التكبر والجهل.

لالو: ربما لو قلنا: يستحيل على أحدٍ من الشرق أن يجد بالتحديد قريتنا التي تقع وسط الغابات وعلى بعد بحار وأراضي شاسعة ومدة سنوات في السفر، لقلنا أن آشورحدون فعل المستحيل، لم يصل

---

[i] غابات الأمازون اليوم

هو شخصياً لكنه أرسل بعثته، ويبدو أنه استدل من خلال عدة عوامل، قد يكون بعضها أحلاماً لكنها فعلياً دلته على ما هو حقيقي، ولابد أيضاً أنه استعان بمعرفته الفلكية في إعداد أفراد بعثته وتدريبهم ووصف لهم المكان بدقة، والذي أحضروني منه.

زاو: إن مهمة نشر الحكمة بذاتها هي مستحيلة، يعرف الحكيم أن القلة سيستطيعون بلوغها حتى لو انتشرت الحكمة أمام عيون الجميع بكل وضوح، من الضروري ألا ننسى يا رفاق أنه مهما بلغ عدد المتعلمين من كثرة فإن الحكماء سيبقون قلة، قد تزدهر البلدان وتتطور أدوات الإنسان ونصل لاكتشافات جديدة ويتغير نمط حياة الإنسان، لكن الحكمة ستبقى محصورة لدى القلوب الصافية، حيث البيت والعرش، عندما يتحد العقل والقلب وتتحد المعرفة والبساطة، ويتحد كل شيء في هذا العالم وما خلفه، حيث يبقى الحب فقط.

حتحور: حسنٌ ما قيل يا سادة، ها قد اجتمعت أشلاء أوزوريس[i] من جديد، وعلينا أن نؤدي رسالتنا، وفور انتهائنا ليشرع كل منا في تدوين قصص وروايات الأوليّن ولنحيك معاً نسيج المعرفة من خلال الحكايات، أشعارنا وأفكارنا وحكمتنا، آدابنا وعاداتنا، أسماء الكواكب وحركاتها، تقلبات الفصول وأحوالها، مواضع القمر وبنية النباتات، أجسادنا وما تحويها، أسرار البحار والمحيطات، وجميع ما

---

[i] أوزوريس أحد الرموز المصرية القديمة المقدسة، يرمز للبعث والتجدد، تروي القصة أن أخيه "ست" (بسبب الغيرة والطمع) قتله وقام بتمزيقه إلى أشلاء قام بتوزيعها وإخفائها في نواحي متفرقة من البلاد، ثم تحكي الأسطورة رحلة إيزيس (زوجة أوزوريس) في البحث عن كل جزء منه وفي الموقع الذي يتم فيه إيجاد جزء يبنى معبد.

استطعنا الوصول إليه، ولتكن دليلاً ومرشداً لعقول أولادنا وأحفادنا في سبيل أن تكتشف ذاتها.

(اتفق الحكماء على تأليف كتاب مخطوط، يحمل كل ما تحدثوا عنه من معارف، حيث لطالما آمنوا أن المعرفة الحقيقية هي التي تقوم بتوحيد كل شيء ليختموا ذلك بجملة: "التوحيد الحقيقي هو معرفة الكل".

وهكذا أغلِقَ باب المعبد، وأخفت جدرانه ما يدور من كلام بين الحكماء وتم البدء في تأليف كتاب يحمل في صفحاته كلمات وحروف أبت أن تكشف نفسها إلا لمن يسعى بحب وشغف إلى معرفة الغاية الكلية للوجود.)

العودة

(آَشور نادين شومي، أردا موليسو، نابو شار أوسر، اشورحدون، كانوا جميعاً أولاد الملك الآَشوري سنحاريب، وقد كان أكبرهم آَشور نادين شومي الذي كان وريث العرش الأول، ولكن بسبب تحالف من الكلدان المتمردين مع دولة عيلام استطاعوا أسره عندما اجتاحوا مقاطعة بابل عام 694 ق.م والتي كان يحكمها، وفُقِدَ بعدها الابن الوريث وقُتِل، هذا ما كان السبب الأول لغضب سنحاريب غضباً كبيراً وإحكامه على بابل بقسوة وأعاد حكمها والسيطرة عليها واستطاع الانتصار على المتمردين، ولكن هذا القمع كان وحشياً لدرجة أنه ترك بصمة أبدية في ذاكرة الكلدانيين من سكان بابل، يظهر هذا مدى زعزعة المبادئ والأخلاق الإنسانية عندما يتم القضاء على أحد المتعلقات البشرية القوية، كالولد الابن.

قام سنحاريب بعد ذلك بتعيين أرادا موليسو كوريث للعرش وولي للعهد غير أن هذا تغير في عام 684 ق.م [i] حيث قرر نقل ولاية العهد إلى آَشورحدون وهو الأخ من أم أخرى شامية الأصل (وربما بابلية)،

---

[i] ملاحظة: كانت السنة الآَشورية تبدأ مع حلول الربيع، أي أن التواريخ الميلادية لا تحدد بداية أو منتصف أو نهاية للسنة الآَشورية لكن تم استخدام التواريخ لتسهيل تخيل الفترات والمسار الزمني إضافة إلى الفصل المواكب لكل شهر.

وبهذا كانت البداية لشرارة ستوقد نار الفتنة بين الأخوة في الأحداث اللاحقة من القصة.)

قصر نينوى 21 أيلول 683 ق.م
الحادية عشر صباحاً.

سنحاريب: أخبروا ولدي آشورحدون أن يأتي إلي في الحال، لدي ما أخبره به.

الخادم: أمرك مطاع مولاي.
(يدخل آشور حدون بعد قليل.)

آشورحدون: ليحيا مولاي الملك وأبي سنحاريب، أطلعني على أمرك، وأخبرني بما يدور في خلدك.

سنحاريب: رأيتك وقد شكلت فرق المهندسين ودعمت إقامة مساحات تجمعهم، ورأيت بين يديك المهرة والحرفيين، ولقد تطورت على يدك المباني بشكل ملحوظ، وقد أبدع عُمالك بشكل كبير، ولهذا أنا أبحث عمن يبرز عظمة علمنا وتفوقنا على غيرنا في هذا المجال، فقد تحداني طهارقة حاكم كيميت أن يستطيع مهندسٌ من عندنا بناء ما هو أعظم من الأهرامات، أنت تعلم رغبتي في احتلال كيميت منذ زمن غير أن المشاكل التي أتتنا من بابل شغلتنا، وبتنا نحتاج لتجهيزات كبيرة في حال نوينا ذلك، وبهذا نحن غير جاهزين عسكرياً للقيام بهذه الخطوة، ولكنه الآن يستفزنا ليظهر

مدى قوته، إنه يتحداني أن يستطيع مهندس من عندنا أن يبني له برجاً يبلغ السماء في ارتفاعه، ماذا تقول في هذا يا آَشورحدون؟

آَشورحدون: يا سيدي حتى لو كان يقوم باستفزازك، لكن هل يعقل أن ترسل له من يلبي طلبه؟ هل يعقل أن نحمّل العباد تكاليف وجهد القيام ببناء برجاً قد يستغرق بناءه سنين طوال فقط لأجل إشباع رغبته في تمجيد نفسه؟ ليس ذلك وحسب، كيف لنا أن نبني له برجاً لفخامته وهو عدونا الند، لقد بلغت سطوته أن يصرف أموال شعب مصر على مبنى يخلده، هذا كان غير قيامه باستعباد الناس وإظهار نفسه على أنه حاكم إلهي مبجل، هذا الكبرياء يجب أن يتم اقتلاعه يا سيدي، وفي هذا أقترح القيام بأمر آَخر، سنرسل له مهندساً يخمد تبجيله هذا ويجعل منه حطاماً، أمهلني بعض الوقت، سأستدعي من هو أهل لذلك.

سنحاريب: يبدو أننا تسرعنا في قرار إعدام أحيقار، فمنذ أن غاب عنّا ولم نستطيع تعويض مكانه، وحتى نادان الذي ورث عمل أحيقار لم يقدم خدماته بالمستوى المطلوب من الجودة، لقد خسرنا الكفاءة.... كنا على الأقل اكتفينا بعزله حيث نستطيع استشارته.

آَشورحدون: سأتدبر اللازم يا سيد لا تقلق.

(خرج بعدها آَشورحدون قائلاً في نفسه "كنت أنتظر منك هذا الكلام يا أبي، إن كان الفرد قد أخطأ فيجب أن يتحمل مسؤولية خطأه ومسؤولية ما ارتكبه جراء الانفعالات والتخبطات، وحان الوقت لتعرف الحقيقة"،

وكان قد تلقى آَشورحدون منذ تقريب الشهر رسالة قادمة من الحكماء الاثنا عشر يخبروه فيها أن المهمة تم تنفيذها، إضافة إلى بعض التفاصيل، وهم في طريقهم عائدون، وفي هذه اللحظة هم على مشارف الوصول، وأمّا فحوى الرسالة فكان التالي:

"إلى السيد آَشورحدون، نحن قد حققنا المطلوب، واتفقنا على صيغة جيدة لتدوين الحكمة،
تمت كتابة كل شيء على أوراق البردى التي كان قد أحضرها السيد تحوتمس والسيدة حتحور، ووضعنا في رموز كتاباتنا المعارف، وفي أخبارها الحقائق والعجائب، وفي ملاحمها وأساطيرها تفاسير ومعاني، وجميعها من شأنها أن تشير القارئ إلى مواصلة التعلم والبحث من أجل الارتقاء في عقله، وضعنا هذه الأوراق في صندوق محكم الإغلاق وبالإضافة إلى الأوراق وضعنا لوحاً طينياً ينقل رسالة لمن سيقوم بفتح هذا الصندوق من أحبائنا، "سنبقى مستمرين وحاضرين طالما تحمل قلوبكم الصافية محبتنا، فالحياة الأبدية ليست من نصيب أحد، إلا العاشقين الحقيقيين، الأبدية للعاشقين."

يتغير الناس، وتتغير الخرائط وتتغير التضاريس، ويبقى الحبُّ حباً، لا يعني أنه يبقى ثابتاً لكن ما يتغير هو شكله الخارجي فقط، تنبت الأشجار بالمحبة، وتسطع الشمس بالمحبة، تدور الكواكب بالمحبة، وتستمر الحياة بالمحبة، قد يظهر الحب على شكل ماء يسقي الأشجار، أو أشعةُ شمسٍ تضيء الكوكب أو زوجان يعانقان بعضهما، هناك الكثير ممن لا يرى أن هذه الأمور حباً وهذا أمر

طبيعي ومنطقي ربما لكن من يراها كحب فهو أبدي، هو عاشق لا يعرف سوى السلام، سيظهر بسلام، وسيختفي بسلام، تراه يبتسم دائماً لا يقف في وجهه عائق، ولا نريد تجميل حياته في الحقيقة لكنه هو من يراها جميلة، قد ترى يد الظلم تقدم على إعدامه، لكنه وبرغم معرفته لمصيره لا يخاف، هو فقط يتحسر على من بذل جهداً كبيراً وأنفق من عمره وحياته الكثير فقط من أجل الانتقام ربما لشيء لم يعد موجود، أو لأنه يرى أن في إعدام هذا الشخص خلاص وحل لمشاكله، قد تجتمع كل الظروف لمحاولة التخلص من هذا العاشق، الناس يخشون الحقيقة نعم، وهذا الشخص كونه حقيقياً يصبح مكروهاً، والسبب الوحيد لكره الناس للحقيقة هو فقط تكبرهم، في النهاية سيعملون على إخفاء الحقيقة دوماً لكنها ستبقى موجودة ومعروفة لدى أصحابها، ذلك الفرد قد يعدموه أو يقتلونه لكنه سيبقى موجوداً."

وهذا الصندوق الذي وضعه الحكماء بما يحتويه قد يتدمر يوماً ما لكن المعرفة التي يحملها لن تتدمر، عندما يستحق قلبك الحقيقة لا يحتاج للوسائل، ستغمره من تلقاء ذاتها.

وهذه الحكمة التي يسعى الحكماء لإخبار الناس بها، فمن تلقاها سيصبح من العشاق ومن لم يستطع على تحمل مشاق طريقها سيرميها، يحاول آشورحدون الاهتمام بالعلم والمعرفة ونشر الحكمة بين الناس، وبرغم طموحاته العسكرية التي يسعى لها إلى أنه يسعى لتوحيد العالم وكسر الانغلاق الفكري الذي ينشره حكام الدول وأصحاب السلطة الدينية، وبهذه الطموحات جعل لاسمه مكاناً

مميزاً في التاريخ كشخصية بارزة في القرن السابع قبل الميلاد، وهذه الطموحات ستبدأ من اللحظات التالية التي عاد فيها إلى والده ومعه "نبوسمك" الحارس الذي ساعد في إخراج أحيقار من السجن.)

آشورحدون: لدي بشرة لسيدي الملك، سينبئك بها هذا الحارس المخلص وأعتقد أنها ستسرّ والدي وتسعده.

سنحاريب: هات ما تحمل لنا من بشارة يا نبوسمك.

نبوسمك: سيدي الملك، أمرتم حضرتكم منذ فترة أن يتم إعدام السيد أحيقار الحكيم، ولكن يا سيدي إن هذا الرجل له فضل كبير علي، فقد أنقذ حياتي من قبل، ولا يمكن أن أقدم على القيام بهذا الأمر، وكنت على علم أن شخصاً مثل أحيقار لا يقدم قط على الخيانة بل وليس من شيمه ومبادئه أن يفعل بعكس ما يتكلم به، فقمت بإطلاق سراحه ومن قمنا بإعدامه يا سيدي ليس إلا جثة هامدة، أطلب من سيدي أن يسامحني ويعفو عني، قد خالفت أمركم وإني راضٍ بأي عقاب تنزله بي.

آشورحدون: لا تغضب على مخالفة أمرك يا أبي، تذكر أن الدافع الأساسي هو الإخلاص، وهو ما نريده ونطمع بوجوده بين حرّاسنا، بل ويقع علينا ترقية الأشخاص الذين لا تتزعزع مبادئهم فهم الأقدر على أن يحملوا رايتنا ويحموا قصورنا، من دون النفاق والتلفيق.

سنحارب: لقد أصبت يا ولدي، ما تقوله صحيح رغم أني كنت سأخالفك الرأي في البداية، ولكن الأهم الآن أن هذه لبشرة سارة فعلاً، لم أكن أتوقع بقاء أحيقار حياً، كم أنا شاكر في هذه اللحظة

لأن. شعرت أنه تم خداعي وهذا ما لا أتحمله أنا سنحاريب صاحب الأمجاد، لقد أعطيتموني الراحة الآن.

آشورحدون: نعم يا سيد لقد تتبعت نادان على مدار الأيام، لقد افترى على أحيقار ظلماً.

سنحاريب: من اليوم فصاعداً ستكون أنت المسؤول عن السجن أيها الحارس الأمين، ولك الصلاحيات في اتخاذ القرارات فيه وإعطاء الأوامر للجنود، وسأناقش معك تفاصيل هذا العمل لاحقاً عندما أعد القرار الخاص بك وأطلعك على مهامك ومسؤولياتك، أما الآن فإن كلامي لك يا آشورحدون، أحضر أحيقار وزجَّ نادان وعملاءه في السجن ولينال جزاءه الذي يستحقه.

(ينفذ آشورحدون أمر الملك ويحضر أحيقار الذي كان قد وصل في اليوم السابق للحادثة.)

سنحاريب: أهلاً بالسيد أحيقار من جديد، لقد ظلمناك في قرارنا مسبقاً ونعتذر عما حدث لك، لا نعلم أين قضيت كل تلك الفترة متخفياً، ولا يمكن تعويض ذلك، نحن محظوظون جداً أنه لم يتم إعدامك، لكنت اقترفت أكبر ذنبٍ في حياتي، أرجو أن تفصح عن هذا الخطأ وإني لتسرعت بسبب غضبي وانفعالي، ونحن مستعدون لتلبية كل ما تطلبه يا سيد.

أحيقار: ما حدث كان يجب أن يحدث، دائماً هناك غاية يجب تحقيقها وراء هذه الأخطاء، على الجميع أن يشهد على الحقيقة ويعترف بها، عندما تظهر أمامك ليس لك سوى خياران إما أن

تعترف بها أو إنك ستبقى تنكرها لكنها لن تختفي من أمامك وستلاحقك إلى الأبد، لكن أن تعترف بها سيجعلك سعيداً جداً بها.

سنحاريب: هناك ما سأطلبه منك يا أحيقار، إن طهارقة يتحدانا في أمر أرى أنك الأقدر على رده خائباً.

أحيقار: إني على علم به يا سيدي، لقد أخبرني آشورحدون عن ذلك، الأمر لا يكمن في رده خائباً، يكمن الأمر في إظهار أنه ليس شخصية إلهية كما يوهم شعبه، وعلينا إظهار الحقيقة، لقد أظهر لنفسه تبجيلاً وتقديساً كبيراً وحان الوقت لكسر جناح الغرور هذا.

سنحاريب: حسناً إذاً، متى تصبح جاهزاً للذهاب إلى كيميت؟

أحيقار امهلني بضعة أيام ريثما أعيد تحضير بعض الأمور يا سيدي، حيث يقع علينا إصلاح النظام الذي حاول إفساده نادان، ولدي بعض الواجبات تجاه أهلي وناسي، وسأنطلق بعد ذلك.

سنحاريب: حسناً يا سيد لك ذلك، ولكن ما الذي ستفعله معه؟

أحيقار: ألم تثق بي بعد يا سيدي؟ اترك الأمر لصاحبه.

(ثم خرج أحيقار من عند الملك، وسار في ممرات القصر مع آشورحدون للذهاب إلى الغرفة حيث طلب آشورحدون من الحكماء أن يأتوا، وقد وصل الجميع إليها واجتمعوا سويةً بعد مدة طويلة، وهنا بدأ آشورحدون السؤال عن الأمور كيف سارت وما تم إنجازه، فأتى الجواب على لسان سينسو: " استقبلتنا أوغاريت أحسن استقبال يا سيدي، ورأينا هناك العجب، يأتي لتلك المدينة الزوار

من كل حدٍ وصوب، ورأينا صنائع وبضائع مختلفة ومتنوعة لم نتعرف على جميعها، وكانت موانئ الفينيقيين مليئة بالتجار وأصوات مفاوضاتهم، بينما على الشاطئ تجد الناس يمرحون مع عائلاتهم، وجدنا فيها أناس من كل الملل والأقوام، إنها مركز للعالم يا سيدي حقاً، إن كان علينا ترك إرثٍ حضاري فبالطبع هي التي ستكون المهد المناسب لهذا الإرث، حيث يمكن نقله لجميع العالم من خلالها، فهناك تجد التشيّ[i]، الهندي، الفارسي والحيثي[ii] والإغريقي والكيميتي والعربي والآشوري والبابلي يعيشون معاً على حد السواء، هناك حيث يجتمع الكل تحت مظلة السلام، تحافظ المدينة على هذا التنوع وتحميه ويتساوى فيها الجميع، حيث لا يعد من يدخلها غريباً بل يدخلها وكأنه أحد مواطنيها، هذه المدينة هي عالم مصغر، هي أم للجميع، لقد اقتحمها جميع الغزاة عبر التاريخ لكنها لم تكن تهتم للقتال والسلاح، رايتها السلام وفقط السلام، فلا يهمها من في السلطة والحكم، تعرف هذه المدينة أن هذا المنصب زائل مهما طال، وأن هناك ما يدوم للأبد، وهو الحب، تقدم الحب للجميع من دون تمييز إنها كالشمس حقاً، وبهذا يا سيدي أنقل لك صورتها لأريك أنها وكما رأيت في رؤياك خير مكان لوضع المعرفة فيه، وهذا كان فيما يخص أوغاريت، أما عن مهمتنا فقد دخلنا المقام ومكثنا فيه حتى انتهينا، كتبنا رسالتنا على لوح طيني، ووثقنا بقية الأمور على أوراق البردى ووضعناهم جميعاً في

---

[i] الاسم اذي أطلق على الصينيون.

[ii] من الحضارة الحيثية، ازدهرت في القرون العشرينية قبل الميلاد وامتدت من هضبة الأناضول وإلى حلب وبعض مناطق الشام.

صندوق أحكمنا غلقه ووضعناه في مخبأ سريَ، فقط من يمتلك الشغف الحقيقي في المعرفة يستطيع الاستدلال إلى مكانه، وهذا ما أردنا إخبارك به." .

ما كان يتم في الحقيقة ليس مجرد مهمة أوكلها ولي العهد لمجموعة من الحكماء، لقد كانت محركاً أساسية لنقلة نوعية ستحدث في الشرق الأوسط، وكما أثبتت كل التجارب السياسية عبر العصور، من يهتم بتطوير العلم والتقنية يصبح هو المهيمن على العالم، والسبب في ذلك أن العقل هو أقوى سلاح يمكن امتلاكه، حيث لقى أسطول روماني ضخم مدجج بالأسلحة والجنود مصيره في الهلاك أمام رجلٍ واحد هو أرخميدس في الحادثة الشهيرة التي قام فيها بصنع سطوح عاكسة تعمل على تجميع أشعة الشمس في نقطة واحدة، واستطاع إحراق الاسطول في الكامل، و حتى في العصور الحديثة أيضاً التي يعيش فيها رواد الآَن، يُعرَف في هذا الزمن أن الولايات المتحدة هي دولة مهيمنة عظيمة، وإن تتبعنا الأسباب نجد أن اهتمامها بالعلوم والتقنية وتطويرها هو ما ساهم بوصولها إلى العظمة.

وما يقوم به آشورحدون مشابه لنشوء قوى عظمى في عصره، في الحقيقة هو أنه أعطى هؤلاء الحكماء صلاحيات عدة وقدم لهم الدعم ليقوموا بنشر العلم والمعرفة في مختلف المناطق، حتى تلك الخارج عن سيطرته، إن معرفة آشورحدون السياسية تخوله لأن يقوم بخطوة جريئة، وهي أن ينشر التعليم حتى في المناطق التي لا

تخضع لسيطرته، والفائدة التي تعود عليه تتحقق عندما يعيش هؤلاء المتعلمين في واقع مزرٍ ضمن بلدانهم بينما سيتلقون دعماً للقدوم إلى آشوريا والسكن بها ومتابعة تعليمهم وبذلك تزداد قوة الدولة الآشورية لما قد يحققه هؤلاء المتعلمين من أبحاث وتجارب والتي قد يكون قسماً منها عسكرياً، وتصبح بذلك آشوريا مركز العالم ومهد العلوم، وتتحول إلى هدف مباشر لأصحاب العلم، وخاصة أن الأخبار الواردة عن مملكته والتي ينقلها الرحالون والتجار كانت تأتي لتدعم تلك الصورة أكثر، من حيث انتشار المدارس وبناء المراصد الفلكية وتطوير علوم الفلك والرياضيات، وما يروه التجار بأم أعينهم يشجعهم على ترك أولادهم يتعلمون فيها، ويساهمون في زيادة استقطاب آشوريا للعلماء، ومتى ما كانت المدينة هي قبلة للعلماء تصبح بإمكانها استثمارهم في الازدهار، حيث يمكننا تخيل المدينة بوجود هذه الكفاءات العالية داخل أبوابها، إداريّون _ مخترعون _ مكتشفون _ أطباء _ حرفيّون، هذا يشير إلى إمكانية إيجاد وابتكار حلول كثيرة للعديد من المشكلات والعقبات التي تواجه تقدم المجتمع، وبهذا تصبح سفينة نوح الجديدة جاهزة، سفينة بانيها هو آشورحدون، وربانها اثنى عشر حكيماً، يشرفون على التعليم في مختلف بقاع العالم القديم ويديرون هذه العملية من خلال تلامذتهم، فلا يخفى أن المعلم الواحد (وخاصة في حال ازدياد شهرته وانتشار سمعته) يمكن أن يصل عدد تلامذته إلى ما يفوق المئة، إنه جيش من الطلبة المتنوعين للمهارات والقدرات، وهؤلاء عند ترقيتهم ينتقلون للإشراف على تعليم غيرهم.

بهذا الجيش الذي يتنامى على مضي الشهور والسنوات يمهد آشورحدون بشكل غير مباشر لسيطرته على العالم.

وبعد اجتماعهم مع ولي العهد اتفقوا على خطة لنشر التعليم تحت إدارتهم وإشرافهم "الغير معلن" والذي سيكون بشكل مستتر وغير مباشر عن طريق تلامذتهم، وكان يطلب منهم في كل مرحلة إرسال فريق علمي "ما يشبه البعثة في وقتنا الحالي" ليتابع تعلمه في آشوريا وينتقل بعدها لمرحلة التدريس فيها، وهذا هيكل السفينة الذي اعتمده آشورحدون، والتي سيجتاح من خلالها العالم، وبعد وضع الخطة والاتفاق على تفاصيلها شرعوا في تنفيذها مباشرةً وعاد كل معلم إلى منطقته الأصل ليمارس دوره، ما عدا أحيقار والتي ستجمعنا معه قصة ستصبح أحد أشهر القصص في الأدب العالمي القديم والجديد.

وعند الانتهاء والمضي قدماً كان على أحيقار مهمة موكلة من الملك سنحاريب، والتي تتمثل في الذهاب إلى طهارقة وتوطيد صورة الدولة الآشورية كقوة عظيمة أمام تحديه، وهنا كانت الحادثة الشهيرة عندما وصل أحيقار إلى طهارقة ملك كيميت الذي طلب منه بناء برجاً يصل إلى السماء، وهنا فاجأه عندما وبمجرد رفع يده للأعلى ارتفع المشهد برؤية طفلين يمتطي كل منهما نسراً ضخماً يحلقان في السماء ويصيحان "إن كنت تريد أن نبني لك في السماء بيتاً فأوصل لنا الحجارة حتى نبنيه لك"، اندهش طهارقة من رؤية الحدث ولم يستطع تلبية طلب الصغار في أن يرسل الحجر إليهم وهم في السماء، ما حدث في الحقيقة أن أحيقار قام بزيارة مربي

للطيور يعرفه، كذلك كان على معرفة بالطفلين سابقاً والذين ينتمون لعائلة مسكينة في كيميت أرض مصر وقام بتدريبهم على امتطاء النسور والتي استطاعت حمل الطفلين الخفيفين، ومهد لهذا الحدث الذي فاجأ فيه الجميع وكسر فيه شوكة طهارقة، ومن الضروري التنويه إلى أن طهارقة كان يُصَدّر نفسه بصورة إلهية مقدسة وكان لابد من هذا الحدث أن يكسر هذه الصورة التي يحتجب فيها أمام شعبه، ومن شأنها أن يصبح لدى العديد من المصريين الذين شاهدوا أو سمعوا بالحادثة مرتدون عنه وأصبحوا يحملون له صورة الشخص الخادع لشعبه والذي يستلغهم من أجل مصالحه الشخصية، وإن لم نكن نريد أن نظلم هذا الملك فقد كانت سنوات حكمه إلى هذا الحين من أحداث الرواية مازالت تتسم بالسلام والاستقرار بل وبمزيد من الازدهار والقوة، لكن هذا ما سيتحول لاحقاً ليس فقط لقضية حكم سياسية بل لقضية تبجيل لشخصه وتعظيم شأنه، ولكن الحادثة الأخيرة التي تبعت قدوم أحيقار لمصر كانت مخاض البداية لذلك التكبر الذي تعاظم داخله، وهكذا برزت صورة آشوريا كقوى عظمى يتمتع وزراءها بالعلم والحكمة.

ولم تتوقف رؤيتها على هذه الصورة بل ساهم المعلمين المرتحلين إلى مصر في ترسيخ صورتها كمنارة للعلم والمناهج المتطورة ويمكننا القول أن بقية الدول لم تعد تتمتع بوفرة من القدرات العلمية وكان أمراً طبيعياً حيث لم تحظى تلك الدول باستقرار يساعد على توفر بيئة ملاءمة لنشوء علماء ومفكرين ولكن مصر كانت لا تزال تتمتع

ببعض الإمكانيات غير أنها ليست كافية لدعم عجلة التقدم، حيث لوحظ تناقص كبير في عدد المهندسين وازدياد عدد العبيد (وجود طبقة أرستقراطية مالكة، مالم تكن واعية بأهمية العمل التنموي ستتسبب بجعل السكان مجرد عبيد وخدم) وانخفاض جودة أداء الكهنة والأطباء وذلك يرجع لأسباب كثيرة منها النزاعات وتعاقب الأنساب المختلفة على حكم مصر والتي أصبحت تضم مزيجاً من الهكسوس والكنعانيين والكيميتيين الأصليين والنوبيين وكذلك الكوشيين الحاليين وكانت هذه الاختلاطات لم تأخذ شكلها السلمي كبير.

اجتمعت جميع هذه العوامل لتجعل كل ما تبع الحادثة المذكورة يعمل على ترسيخ صورة آشوريا ونينوى بالتحديد كملتقى للعالم وكعنوان للحضارة وقبلة لجميع الشعوب، والتي تقدم المعجزات العلمية وليس الأسطورية، مما سبب رغبة عارمة لدى السكان ضمن الأراضي المصرية بالهجرة والترحال لتلقي العلم والدراسة وخاصة أصحاب الطبقة الأرستقراطية والذين سعوا لتعليم أبنائهم بهدف اغتنام المناصب والنفوذ السياسي والاقتصادي.)

ولاية العهد

(ما سنرويه الآَن سيكون قد حدث بعد سنين مما جرى في الفصول الماضية، والسبب في أننا لم نذكره ليس إهمالها بل لأننا سوف نستمع إلى ما جرى تفصيلاً وتفسيراً ولكن ليس من خلال روايتنا، بل من على ألسنة المتحدثين.)

20 أغسطس 671
صباحاً في معبد شمش _ أوغاريت.

سينسو: يا من يشعُّ حباً فما انطفا... وجالَ في الكون وما خفا

يا نوراً انبثق من عمق الصفا... وبان فوق الموج وطفى

انت في صوت النفس غنا... يُطرِبُ النفسَ ويكسبها الشفا.

يا إله الكون، يا أبي، أخي وصديقي، يا كل ما في الوجود أنت ويا قابعاً في مرآَتي، جوهر الكلِّ أنت، وكل ما هنا صورتك، حسنك للعاشق بهاء، ولاهوتك في مكامن النفس ضياء، يا مصدري ومستقري ومستودع سرّي، أدعوك وأنا الشيخ الفقير المهان، أن ترشد عقلي

بنورك وتلهم قلبي بعشقك وتطمئن نفسي بوصال وتجعلنا صورةً تليق بسرك الذي أودعته في قلوبنا، يا قلب القلب. آمين...

(أنهى صلاته وقام من سجوده، وكان خلفه شابة بدت أنها كانت تنتظره حتى ينتهي.)

مريم: سلامٌ يا أخي الكريم، أدعو لك إلهنا أن تُقبل صلاتك وأن يرشدنا جميعاً لحسن نقاء القلوب.... إن سمحت فإن لي سؤال بسيط.

سينسو: يبدو أنك تبحثين عن نبعٍ ارجواني أليس كذلك؟

مريم: "لا أصدق وكيف عرف هذ الرجل ما رأيته في المنام" (قالت في نفسها ثم قالت له:) لقد رأيت في رؤية أني أبحث عن نبعٍ ارجواني وظهر فجأة معبد شمش أمامي، ولهذا قصدت هذا المعبد لعلي أعرف ما الذي تخبرني عنه نفسي".

سينسو: لماذا تفاجأتِ يا ابنتي، إن النبع الذي تبحثين عنه ما هو إلا إشارة إلى رغبتك وإرادتك القوية في حب التعلم والبحث والوصول إلى الحكمة، وهذا النبع هو أنا،

وهذا لا يعني أن المعرفة التي تبحثين عنها بين يدي، بل أني سأكون الطريق، سأكون صديقك ومرافقاً لك في رحلة اكتشافك لنفسك.

مريم: هذا ما شرعت في البحث عنه منذ سنين، إني مللت إضاعة الوقت في الحياة واعتكفت على التعلم والقراءة كثيراً بشكل منعزل،

بالمناسبة اسمي مريم يا سيدي، تشرفت بلقائك، أرجوك اسمح لي أن أدعوك لنستضيفك في بيتنا.

سينسو: اسم مريم مقدس وجميل يا ابنتي، وهو يشير إلى الحكمة، أليست الحكمة هي التناغم بين العاطفة والفكر، يتكون الاسم من مقطعين "مر" (مور) و "يم"، تعني مور "الحب" وهذا ما أطلقوه الأموريون (العموريون) على الإله[i] لأن هذه هي حقيقة العبادة، أما يم فهي تعني "البحر" ولكن تمتلك أكثر من معنى بحسب السياق، فهي (ولأن البحر يبدو غير منتهي وأيضاً "يفيض") تطلق على كل ما هو غير منتهي، بهذا يكون الاسم تجسيداً للحكمة (حبّ غير متناهي).

أنا سينسو، شيخٌ فقير يملك من بقايا عمره بعض السنوات ليعيشها في هذا العالم إلى حين انتقاله إلى عالم آخر، تشرفت بك يا عزيزتي، إني وهذا المعبد نبحث عمن يهتم بنا خلال ما تبقى من عمرنا فأرجو أن تكون لك رغبةً في مساعدتنا.

مريم: وهل يحتاج معبد ومعلم إلى من يهتم بهم؟

سينسو: لم أقل أننا نحتاج يا ابنتي، بل قلت (إننا نبحث)، وهذا البحث ليس لأجلنا، بل لرغبتنا بأن نجد من يحمل الرسالة التي حملناها، وينقلها للعالم بعدنا.

مريم: ما هي الرسالة يا سيد سينسو.

---

[i] الإله "أمور" يعني اسمه (الحبيب) و"مور" هي مصدر الكلمة وتعني (حب).

سينسو: هذه الرسالة تحديداً لا يمكن نقلها في الكلام، لقد أتى إلى هذا العالم الكثير من العقول المبدعة منذ زمن بعيد _*وربما إلى أجلٍ يصعب تحديده* _ يتكلمون بالحكمة ويحاولون إخبار العالم بها، ورغم ذلك لا يستطيع الجميع أن يتلقاها، تتمسك الناس العادية بمعتقدات ورغبات ومتعلقات، بينما لا يمكن استقبال الرسالة بكل ذلك، الرسالة يمكن أن تتلقيها يا ابنتي فقط بالتلاشي، بأن تتجردي من كل ذلك، أرجح يا ابنتي أنك الآن على معرفة واطلاع كبير بمواضيع شتى حسبما أظن، الآن حان الوقت لأن تتجردي منها، المعرفة هي وسيلة يا ابنتي لكنها ليست الغاية، وسيلة لتفهمي الرسالة، لتستطيعي تفسير كل شيء حولك، لكي لا تكوني مجرد عقلٍ مقلد، بل لأن تصبحي مرآةً للوجود.

مريم: وكيف سأتجرد منها يا سيد، هل يعقل أن أتركها وأهمل التعلم يا سيد؟

سينسو: أيضاً لم أقل ذلك يا ابنتي، بل ما أقوله: لا يجدر بك التعلق بها، أن تنطلقي برحلة تعلم جديدة تحمل إلى جانبها حباً، أن تصنعي من هذه المعرفة طرقاً جديدة، ترشدك نحو ما لم تكوني تريه من قبل.

مريم: سيطول حديثنا يا سيد، ومنذ أن قلتَ لي أنك النبع الارجواني شعرت بأنك أنت الشخص الذي كنت أبحث عنه، أرجوك يا سيدي هل تقبل بأن تأتي ضيفاً عندي وستكون غرفة والدي لك، فبيتي فارغ وقد هدأت فيه أصوات البشر (توفوا أفراد عائلتها).

سينسو: أشكرك جداً على هذا العرض لكن هذا المعبد هو مهدي وعين حياتي، أرجوك تعالي متى شئت إلى هنا وستجدينني.

مريم: ها أنا هنا يا سيدي، وسأذهب إلى بيتي عند الحاجة فقط، دعني أتعرف أكثر إليك، ما قصتك يا سيد.

سينسو: أنا يا ابنتي أنحدر من جيرانكم السومريين، ولدتُ في بابل ويعود أصل عائلتي إلى مدينة نيبور، أما عن قصتي فهي طويلة، لكني سأشرح لك سبب وصولي إلى هنا.

منذ اثنا عشرة عاماً تقريباً وبينما كنت أتأمل النجوم فجراً قبل شروق الشمس، كشف نجم الصباح[i] عن نفسه من المشرق، كان جميلاً وساطعاً وبدت ملامح لفكرة داخل رأسي بالتشكل، وأتاني الإلهام بأنه لا بد أن هناك شاباً يسعى بجهده لتقديم شيء إلى هذا العالم ولديه الطموح الكافي في العلم والمعرفة لكي ينشرها بين الناس، وما مضى شروق الشمس كثيراً حتى أتى رسولٌ يخبرني بأن حضرة ولي العهد" آشورحدون" يستدعيني،

لسببٍ ما كنتُ أعلم بأني سألتقي يوماً مع أحبائي المنتشرين عبر العالم والذين يحملوني داخلهم الرسالة التي أحملها أنا أيضاً، تبين أن ولي العهد كان يبحث عمن يحملون هذه الرسالة، ويبدوا أنه اهتدى إلي وإلى أحد عشر حكيماً أخر، منتشرين عبر هذا العالم، ولحسن تدبير الأحوال كان لديه رؤية ليقصها علينا، ويبدوا أنها هي التي دفعته لفعل كل هذا، ولأن رسالتنا واحدة كان لابد تبيان ذلك

---

[i] كوكب الزهرة

والتحقق منه فأخذ كل واحد منّا يفسر جزءٌ منها إلى أن اكتملت الصورة عند الأخير، وكان ما كل ما خرج من أفواهنا نتفق عليه جميعاً، وأظهرنا له حقيقتنا، كان تفسير الرؤية هي أن يقع عليه واجب أحد المهام، وهي أن يجد الحكماء الاثنا عشر ويتدبر أمر لقائهم في معبد شمش في أوغاريت، والذي هو هذا المعبد، فأتينا لنجمع المعارف ونقوم بتدوينها بهدف نقلها وتوريثها، وهي أمانتنا ورسالتنا في هذا العالم، ولا تحصر تلك المعرفة بشيء واحد فهي تتعلق بالوجود، وحقيقة الوجود لا يمكن دراستها من جانب واحد، الحكمة لا يمكن بلوغها من طريق واحد وكيف ذلك والحكمة هي معرفة الطرق بحق ذاتها، أن تعطي كل ذي حق حقه، وأن تقدم لكل شيء ما يناسبه، هذه الحكمة نتركها مدونة كرمزيات .. في الأساطير والأشعار والفلسفة، وحتى في الرياضيات والطب والمادة، هذه كلها تسعى لفهم حكمة الكون. لذلك لا يمكن تجزئة العلوم عن بعضها عندما تكون الحكمة هي الهدف يا مريم، جميعهم يتكاملون في سبيل تحقيق غاية واحدة، ونقل معنى واحد، وهو أن الألوهية تتجسد في الحكمة الكليّة، العلم وسيلة للارتقاء، للابتعاد عن الجهل والذي هو مصدر كل التكبر والغرور. وهكذا شرعنا في تمهيد معبدنا ليحمل رسالة تستمر حتى آلاف السنين، ووضعنا كنزنا في أحد أركانه، وبعد مضي بضعة أشهر عاودنا السفر إلى آشورحدون لنخبره بتمام العملية ثم عاد كلٍّ منهم إلى موطنه، وأتيت أنا إلى هنا حيث وجدت ملجأي ومهد إقامتي.

ولكن في تلك السنة بالتحديد كان آَشورحدون قد تسلّم ولاية العهد حديثاً على حساب أخيه أرادا موليسو، تسبب هذا القرار في تعاظم الغرور داخل أرادا موليسو حيث كان يرى أنه الأجدر بوراثة العرش، وبعد ثلاث سنوات تبين أنه كان يحضر لمؤامرة للسيطرة على الحكم وسلبه من والده فقام هو وأخوه نابو شار أوسر بقتل والدهما سنحاريب وهو يصلي في أحد المعابد، بهذا يكون انقضى عهد الملك سنحاريب.

كانوا قد جمعوا حشداً من الناس الداعمين لهم واشتروا آخرين بالمال خلال هذه الثلاث السنوات وعند ارتكابهم الجريمة ووصولهم للسلطة بدأوا يتقاسمون الحكم، لكن ما لبث أن وصل الخبر اشورحدون، وقام الأخير والذي كان في حرّان _نرجح أن سنحاريب كان يعلم بقصة المؤامرة فأرسل آَشورحدون لأجل حمايته من غدر أخويه_ بتجهيز جيشه، واستطاع دخول نينوى به والانتصار على جيش أخويه، مما أثبت فيه من جديد أنه الأقوى من حيث القيادة والإدارة والذكاء، وفرَّ أخويه هاربين إلى أرمينيا واستطاع أن يستعيد العرش ويحكم قبضته على البلاد المنقسمة.

آَشورحدون يا ابنتي ليس مجرد فتى استطاع الوصول إلى الحكم، لقد كرس حياته للإدارة والتطوير والبناء والدراسة، كن يطمح لأن يتوحد العالم، بدأت تظهر عليه دلائل ذلك منذ شبابه والتي برزت فيها تفوقه الدراسي والعلمي إضافة إلى موهبته اليافعة في استخدام الأسلحة وتنفيذ الخطط والتكتيكات العسكرية، وهذا التفوق إلى جانب مهاراته في الإدارة وقيامه بحل العديد من المشكلات التي

تتعلق بالدولة ونظامها جعل منه مؤهلاً جيداً للحكم وكان ذلك السبب في تسليمه ولاية العهد على حساب أرادا موليسو، وتطورت على يده الأبنية والمدارس، سواء في المدن الآَشورية أو المدن الأخرى الخاضعة لسيطرة الدولة، ومن أجل الحفاظ على الإرث التاريخي سعى آَشورحدون إلى جمع الكَتبَة والمعلمون، ويسعى فيهم إلى توثيق القصص، الأساطير، الديانات، أخبار جماعات هذه المنطقة، وجميع ما وصل إلينا من أسلافنا وأسلاف سكان الجوار، ويعطيها الاهتمام قدر الإمكان في توثيقها وحفظها تجنباً لأي تلف قد تواجهه عبر العصور، وإرسالنا إلى هذا المعبد كان ينطوي تحت هذه الغايات، ومنذ أن انتصر على أخويه سعى إلى إعادة السيطرة على المدن التي كانت تستقل عن آَشوريا.

لم يكن استقلالها حلاً جيداً ومفيداً لها للصراحة، لأن الفراغ الأمني الذي يسببه غياب سلطة الدولة الآَشورية سيؤدي إلى نزاعات شعبية وهجمات خارجية تنتهي غالباً بصعود قوى عسكرية همجية تستغل الوضع الراهن لتنفرد بالحكم وتفرض سطوتها على أهله المنطقة، وهنا بدأت حملات آَشورحدون في استعادة السيطرة، فابتدأ ببابل وأكمل بعدها إلى غزة، وأكمل بسط نفوذه على الدول والممالك الأخرى، وها هو الآَن كما تعلمين انتهى بالوصول إلى كيميت الذي فرَّ منها طهارقة، وأصبح آَشورحدون بالفعل حاكماً للعالم.

(صمت قليلاً سينسو وبدا كأنه شعر بالتعب).

مريم: هل أنت بخير سيد سينسو، هل أحضر لك الماء؟
(أحضرت له الماء).

سينسو: شكراً لك يا ابنتي، يتوجب أن أكمل لك أحداث هذه القصة قبل فوات الأوان، تميز حكم آشورحدون بالحضارة والازدهار، فكانت المدينة التي يأخذها يرممها ويجدد بنائها ويشيد فيها المدارس والمباني، كان يؤمن أن بناء المدارس هو ما سيجعل من الدولة عظيمة، وهو ما حدث فعلاً، عندما أخذ بابل والتي كان يسعى بعض الكلدانيون المتمردون للسيطرة عليها قام بتجديدها واعتذر لهم عن قسوة والده معهم وأقام احتفالاتهم الدينية وحضر بعضها على الرغم من الخيانة بتمرد الكلدانيين سابقاً وتحالفهم مع العدو عيلام ضد والده سنحاريب وخطف "آشور نادين شومي" الأخ الأكبر لآشورحدون، إلا أن آشورحدون يدرك أن هذا لا يبرر ارتكاب جريمة في حقهم والتي نفذها والده الذي أحرق المدينة وارتكب مجازر دموية بحقهم، فأعاد الأمان والطمأنينة لقلوب الشعب مما أوقف ورود فكرة القيام بأي تمرد، ولكنه وإلى الآن يخشى أن يأتي أحد بعده لا يمنحهم هذا الأمان فيشتعلوا غضباً من جديد ومصير ذلك ينتهي إلى دمار آشوريا...

كان يحب العلم كثيراً فلا ننسى أن انتصاراته أتت بفضل الخبرة والذكاء، وليس التفوق في العدد أو القوة، فالجندي المتعلم والخبير، قد يستطيع أن يصنع من الرمل سلاحاً بينما الجندي الجاهل قد تخفي الرمال سيفه بل وتغمره، وهكذا هو في حملاته العسكرية، يحمل راية للمعرفة، وكثيراً ما عرض تحالفات سلمية جيدة حالت

دون التدخل في حروب، كالاتفاقية التي عقدها مع القدس، ولكن العنف ما لبث أن عاد في طرق آشورحدون،

أنت تعلمين أن "عبدي ملكوتي" ملك صور كان يوهم شعبه بأنه ابن للإله وخليفة له على الأرض وذلك بغرض كسب ولائهم ثم بادر بإخراط العامة في التمردات ضد آشورحدون، وكان يدعمه بذلك "طهارقة" والذي يصنع نفس التصور تقريباً لشعبه، فما لبث آشورحدون أن لاحقه واستطاع الإمساك بعبدي ملكوتي رغم هربه عبر البحر، ومصيره وأتباعه كان مأساوياً، أما طهارقة فاستطاع أن يفلت من أيدي الملك ويهرب إلى المناطق البعيدة،

كان آشورحدون عدواً للتكبر، ويعطي جلّ تركيزه على بناء أعظم دولة في العالم، في البداية جعل العاصمة الجديدة "كالح" وسكن فيها الناس من جميع الأمم على قدم المساواة، ويستطيع الجميع فيها أن ينالوا الترقيات والمناصب، ولم تكن المسؤوليات والمهام حكراً على الذكور، فقد لعبت أخته آشورحماة ووالدته نقية دوراً هاماً في السياسة وبناء الدولة، وفي التشجيع على ظهور أميرات وسيدات بأماكن فعالة وبارزة ضمن المجتمع، وهكذا كان يجعل في كل مدينة يأخذها، يجددها، يقيم فيها نظامه الجديد، يقوم بتشييد المعابد والمدارس، ويمنح فيها الترقيات لمستحقيها، لقد كان أول من فتح بوابات هذه المدن على بعضها بهذا الشكل التعاوني، واتسم نظامه الإداري بخبرة وكفاءة عالية في حكم هذه الإمبراطورية الواسعة على مدار الأعوام واستمر إلى الآن.

لكنه يا ابنتي يعلم أن يوماً ما سيزول كل هذا، فقط لحظة واحدة من الجهل كافية لضياع كل شيء، ولذلك سعى لنشر التعلم وقام بتوحيد طرق العلم والمعرفة وجعل من دولته ملتقى للفنون والثقافة والمعارف المختلفة سعى في ذلك للحفاظ على جميع ما تقوم به الأمم من تعبير عن نفسها فيه، لا تنسي ذلك يا ابنتي، أما بعد فإن الأحقاد بين الدول والمواطنين ما يلبث أن يعود للظهور وما إن يظهر ستعود معه سلسلة من الانتقامات والحروب والدمار، ما فعله سنحاريب في بابل لن ينسى حتى لو قام آشورحدون بضبط الأمور، هذا حقد يتم توريثه ويتم فيه تحقير طائفة على حساب أخرى حيث سيتوارث الكلدانيون كره الآشوريون ربما لعقود وربما لقرون.

تدرك الناس المثقفة بالطبع أن هذا الكره بلا جدوى ويقومون بالتخلص منه، لكن السلوك الجمعي ليس كذلك، لا بد أن قسماً لا بأس فيه منهم يأخذ على عاتقه ثأراً لأنه يرى آن الآشوريون أعداء، حتى لو أصبح الآشوريون مسالمون يقدمون العون والمساعدة وأصبحوا جيران، لكن مجرد انتمائهم لآشور أصبح تهمة، إنهم في حال رأوا آشورياً يمشي أمامهم لا ينظرون إلى تصرفه أو أخلاقه أو أعماله، سيحكمون عليه بأنه مجرم فقط لأنه آشوري، رغم أن الأمور لا علاقة له فيها، لكن هذا ما يحدث عندما يسيطر الجهل على التربية، العارف يا ابنتي يهتم بتقديم الإضافات لهذا العالم بينما يعيش الجاهل حالة إشباع للنقص الذي بداخله، الجهل يغذي التكبر يا ابنتي، يغذي الأنا، لا يعرفون أن الحاكم إن كان آشورياً أو

كلدانياً فلا فرق، المهم أن يكون جيداً ويعمل لمصلحتهم، لكن لا، هم يفضلون أن يكون كلدانياً حتى لو كان فاشلاً، لأن هذا يشبع النقص الذي بداخلهم، يشبع غريزتهم ونزعتهم للوجود والظهور، الجاهل يبحث عما يجعله موجود لأنه ببساطة غير موجود، أما العارف فهو موجود ويدرك أنه موجود، لا يحتاج لإظهار نفسه لأنه واضح، العارف كالشمس، يظهر نفسه بأشعته الدافئة والنِعَم التي يقدمها، أما الجاهل كالنار، يحتاج لأشياء كثيرة يبتلعها كي يبقى موجوداً، ونتيجة لهذا الموضوع فإني أبلغك أن الأمر ليس محصوراً فقط بآشور، هناك بابل ودمشق، ومدن كثيرها سيصيبها المصير نفسه، أما أوغاريت فلا أحد لديه مشكلة معها ولا توجد لها عداوة مع أحد، إنها منارة الجميع، الجميع يأتيها ويزورها، والجميع يعيش في كنفها في ظل سورٍ واحدٍ، لا أحد يحمل حقداً تجاه الآخر، وبهذا فهي أنسب مكان لحفظ ميراثنا.

لو أن آشورحدون اشتكى يوماً وأخمدته همته وعكفته عن تحقيق غايته لما أصبحت المدن كما وصلت له من ازدهار الآن، وأوغاريت الآن تشرق بشمسها على الكون، هذه المدينة خالدة يا ابنتي، لهذا أتيت، وقد اكتملت مهمتي عندما أخبرتك كل شيء.

يا ابنتي احملي شمعتنا للمستقبل وامشي في طريقنا، هذا المعبد أورثه لك، سيكون مهداً للحب الذي في قلبك، والمعرفة التي في عقلك، منذ أن وجدتك وأنا أرى الشمس التي بداخلك، وكنتُ بانتظارك طيلة السنين الماضية، أخبريهم في المستقبل يا ابنتي

كيف تصل المحبة إلى قلوب مستحقيها أمثالك، أخبريهم أن المحبة هي التي تبني وهي التي تحيي، أخبريهم كل شيء.

مريم: سينسو عزيزي، أنت لم تخبرني سوى ما خاضه سيدي آشورحدون.

سينسو: وهذا كافٍ لتلقينك كل شيء.

مريم: (ختم حديثه هنا، ويبدو أنه شعر بالتعب كثيراً فاستأذنتُ منه، كي أدعه يستريح، سأجلب له الطعام غداً وسأمنحه العلاج إن زاد تعبه، أتمنى أن تدوم عليه الصحة، يبدو أن داخله يوجد الكثير ليخبرني به، لكن ماذا كان قصده بأن قصة آشورحدون كافية لتلقيني كل شيء؟ سأعلم منه غداً)

في اليوم التالي

معبد شمش

مريم: أرجو أن ترافق المحبة مهدك ومحل لقاءك، يامن جلست إلى جانبه لحظات، والتقيت به كلَّ العمر، لم أكن أتوقع أني سآتي في اليوم التالي أحمل لك الطعام وأجدك لا تستطيع أن تأكله، وأحمل لك الأسئلة لكنك غير قادر على الإجابة، كانت لحظاتي القليلة معك تغني عن أيام الزمن، لم يكن الكلام صلة وصلنا، لم تكن الكلمات هي التي تريدني أن أقولها، بل المحبة. في اللحظة التي كنت تقول فيها أن الشمس داخلي كنتَ تمهد أن تنقل عبئك إلي، أو أن المحبة ليست عبئاً بل إنها نعمة، كيف أن تمنحني الحب في يوم وتدعني أضع لك كفنك في اليوم التالي، قلبي يوشك أن ينفطر يا سينسو، كيف لي أن أدخل وأرى طلعتك البهية مستندة إلى عرش شمش، لعلَّك تلاقيه في السماوات الآَن، يا عزيزي سينسو أخبرني ماذا أفعل، لقد تركتني فجأة داخل المعبد، ولا أعرف ماذا أفعل، ولا ماذا أقول، ولا ما الرسالة التي أنقلها.

(فجأةً حلَّ بمريم شيء من الإلهام، ووردتها فوراً الإجابات على شكل أفكار داخل رأسها، وتذكرت، أن ما عليها فعله ليس أمراً جديداً

يجب أن تعرفه، هي كانت تتعلم وتدرس وتسعى إلى المعرفة، لكن الأمر المختلف هو القيام بذلك مع محبة في القلب، لتستمر في قول ما تريده لكن الأهم أن تقوله بحب، الرسالة هي الحب، المعبد هو ليس لطاعة إله، المعبد مكرس من أجل المحبة والخير، الإله هو محبة، شمش هو محبة، هذا ما دار في رأسها، استعادت مريم شجاعتها ورفعت بجسدها اللطيف جثة سينسو، غسلته وكفنته وبنَت له صرحاً بجانب المعبد كتبت عليه "ليفنى كل شيء ويحيا العشق" مرقد الشيخ سينسو، ومنذ ذلك اليوم وأصبح نمط حياة مريم مختلفاً. لم تعد تجري وراء المعرفة، لأن المعرفة أصبحت هي من تدور حولها، أصبحت تأتي مريم كل يوم إلى المعبد تجلس تحت الأشجار التي بجانب الضريح الذي بنته تتكلم هناك مع سينسو، وتعزف ألحان القيثارة وتغني الترانيم، لا تتحدث مع سينسو الراقد في القبر، بل سينسو الذي في قلبها، والذي في لقاء واحد أصبحت معه في اتصال دائم، تتذكر دائماً عندما قال قبل أن يدركه الموت "أنا هنا لأجلك" لأن هذه الجملة فقط من بين كل ما دار بينهما هي التي جعلت مريم تتوقف للحظة وتكتشف نفسها، المعبد الذي أوصاها به هو قلبها، داخلها يقبع المعبد، وعليها الحفاظ عليه......)



المعبد يظهر في رأس شمرا

اللاذقية، القنجرة.
17 نيسان 2023
5:40 صباحاً.

بطرس: (استيقظت صبحاً لأجد رسالة على هاتفي من رواد يقول لي فيها:

" مباركٌ عليك النيروز يا بطرس، أتمنى يوماً جميلاً ومزهراً لك، ليكتب الله لعقولنا الرشد والهداية وليجعل غذائنا العلم وشرابنا العشق وأنفاسنا الحكمة، وجعلنا لذكره حافظين ولحبه منذورين، تعال لنبدأ يومنا بالجري سويةً في الطبيعة، ستشرق الشمس بعد قليل، سنحضر شروقها على السد ما رأيك؟ "

"أسعد الله يومك، آمين، آمين، آمين ... نعم لن أتأخر سنلتقي عند بداية الطريق" أجبته بذلك، ثم نهضت من فوري لأغسل وجهي وأعد نفسي للخروج، كان الضوء خافتاً مع صوت شديد

للعصافير التي استيقظت للتو، لطالما كانت هذه اللحظات تسحر رواد، ليس ذلك وحسب بل وترى دموعه تنسكب في هذه اللحظات من مدى الإعجاب والتمجيد الذي يصل له حينها ، أتذكر أحد اللحظات التي تشاركنا فيها المبيت سوية، استيقظت حينها في الليل عدة مرات وفي كل مرة أراه مستيقظاً، تارةً يقرأ كتاباً على ضوء الشمعة وتارةً أخرى يعمل على حاسوبه المحمول، آخر لحظة منها كانت لحظة الفجر كان يجلس مقابل النافذة ويتأمل مشهد انبثاق النور خلالها، كان يكره النوم جداً، وكأنه يسلب منه لحظة مقدسة كهذه، كان يخرُّ ساجداً عند طلوع الضوء لعظمة المشهد الذي يراه، فهو لا يرى مجرد انبثاق لضوء الصباح، بل يشهد على رحلة خلق كاملة، من عمق السكون والصمت المطلق ينبعث صوت أذان العصافير مبشراً بالحياة، وتبدأ الأنوار بالحلول محل الظلمات، "ويا لشدة الظلمة في حياة كل من لا يرى كل هذا إن كان في الفجر أو في أي لحظة من حياته" كان يقول، في الواقع أشعر أنه في هذه اللحظات يشعر بالألم وليس بالسعادة لا أعرف لما.

اختفت مخيلتي هذه عندما بدأت ألمحه من بعيد عند اقترابي من مكان لقاءنا، كانت نقطة انطلاقنا في الطريق هي بجانب مطعم سياحي مشهور في بلدتنا يسمى "مطعم الهرم" وهو مطعم يستقبل الحفلات والمناسبات، بينما يمتد الطريق بين البساتين على مدى 3 كم تقريباً لينتهي إلى موقع السد.)

بطرس: صباحك جميل.

رواد: صباحك جميل يا صديقي.

بطرس: "بسم إلهنا العظيم الذي سجدت له المسخرات من النجوم والأفلاك، وما تهاونت يوماً عن ذكره ولا عن الحراك، ليجعل الله جسدنا مفطوراً على الحب، ومتوجهاً نحو وجهه ومعرفته وولايته بحسنٍ وإدراك".

(هكذا تلوت ذِكر البداية وانطلقنا مسرعين، كنا نتجنب الكلام خلال الجري كي نحافظ على جودة التنفس، إضافة إلى اختلاءنا بأنفسنا بحيث ومع كل نبضة من القلب وكل شهيقٍ يدخل من مجرى الهواء نلفظ أذكاراً تعبر عن الحب، ومع كل زفيرٍ نلفظ شكراً.

لم نستغرق كثيراً من الوقت حتى وصلنا، ربما كانت عشر دقائق تقريباً، وجلسنا على ضفة السد منتظرين شروق الشمس من خلف تلال الضفة المقابلة، حينها قلت له:
أتعلم!، من المؤسف حقاً أن في هذا الوقت الرائع يكون الكثير من الناس نائمون، أو ربما يكون ذلك خيراً كيما يملؤوه بضجيجهم ويفقد قدسيته، أو إن قدسيته لن تزول، لكننا لن نعود نستطيع الشعور بها، غريبة هي حال هذا العالم، إنه مقدس بكل أشكاله لكننا نفقد الشعور بقدسيته بسبب أنفسنا، إن كل لحظة من لحظات اليوم مقدسة لكننا ننشغل بكثير من الأمور عن هذه القدسية، نذهب ونأتي ونسمع

أصوات الناس في السوق والسيارات في الشارع والأولاد يلعبون والجيران يتصاخبون وأناسٌ يتشاجرون، نقوم بالدراسة ثم نتناول الطعام ثم نذهب للعمل ثم نقوم بمسؤوليات أخرى وهكذا حتى يمضي اليوم ولم نأخذ لحظة واحدة نسمح فيها لأنفسنا بالتحرر، التحرر من كل تلك القيود، يدهشنا في هذا العالم بعض الأموال والأمور الروتينية والعلاقات لتجعلنا نعيش في الوهم، ثم في لحظات هادئة وجميلة كالتي نعيشها الآَن ندرك أن هناك عالماً لطاما كان مخفيّاً عن أعيننا، وإننا نطويه طي النسيان وفجأةً نجده في لحظات الخلوة، والسبب ليس أننا انتقلنا من عالم إلى عالمٍ آَخر جديد، لكن الواقع الذي كان يفرضه علينا عقلنا قد تلاشى، الحقيقة ليست أننا وجدنا عالم آَخر مختلف بل إننا فقط قمنا بالتخلص من عالم قمنا نحن بفرضه على أنفسنا، "هي هكذا الحياة، ما تكاد تخلع عنك حجاباً حتى تلبسك آَخر وكأن مصير العوالم الخفية أن تبقى مستترة في هذه القمصان، ويبدو أن علينا العمل على تنظيف هذه القمصان بدل خلعها"، قلت لرواد.)

رواد: يبدو أنها هكذا، لا يجب علينا تبجيل أنفسنا ظناً منّا أننا اخترقنا الحجب وأصبحنا نعيش في عالم قدسي عظيم، هذه الحجب لا يمكن إزالتها بل يمكن تنظيفها فقط، لا يمكن أن ينفصل الظاهر عن الباطن، وهو ما يمنح تفسيراً منطقي لكل شيء حولنا، بحيث لا نؤمن بباطن غيبي لا يمكن استشعار وجوده ينفصل عن الواقع، ولا يمكنك في المقابل أن تعيش

حياة سطحية مكتفية بما تلتمسه من العالم، لكن يمكنك ويسهل عليك إدراك أن هناك ما نجهله خلف ما نعلمه، هناك ما استطعت الوصول إليه وهناك في الخفاء ما لم تستطع الوصول إليه بعد، هناك ما تراه وهناك ما لا تراه، هناك ما نقوم بتشكيل صورة معينة حوله وربما صورته الحقيقية مختلفة تماماً، وهذا جوهر فكرة الظاهر والباطن، الإله فكرة، تعرف عنها شيء وتجهل عنها أشياء، فترى أن هذا الإله يتحدد وفق أفكار ما يعتقده المؤمن به ويمارسه. الأفكار لا يمكن رؤيتها لذلك هي باطنة بينما يظهرها الفرد عن طريق ما يمرسه ويعتقده حولها، قد يكون المرء ملحداً وهذا لا ينفي وجود فكرة إله داخله، لكنه يتحاشى إظهارها، وربما يظهره لكن يقوم بإظهاره على أنه أمر مختلف عن الآَلهة، قد يكون الضمير أو القيم أو ربما بعض الصفات الفاضلة، في النهاية لا يعرف أحد إلى ماذا يشير بالضبط عندما يقول إله، لا يستطيع أحد أن يفسر هذا الكيان، وهذه المشكلة التي لا يدركها البشر، حيث يحاولون تفسيره بمجموعة من الكلمات والمعتقدات والقواعد الاجتماعية وحتى هذه التفسيرات التي ظهرت يعاني الإنسان صعوبة في فهمها واتباعها أو قد يتبعها بشكل يناقض حقيقتها تماماً، البشر نسبيون يا بطرس لكل فرد منطق من التفكير مختلف عن الآَخر، وهذا المنطق هو ما يعبر عن الإله، ما أراه يا بطرس أن الإله يصعب تفسيره في عالم أدنى منه، كأنك تقوم في الفيزياء بتفسير الأمواج الغير مرئية من خلال

الطيف المرئي أو أن تقوم في التشريح بتفسير المنعكسات العصبية من خلال السلوكيات وردود الأفعال، أو أن تقوم في الفلك بتفسير الحركات الفلكية بمعادلات رياضية، انظر كيف يتم قياس الأمور من خلال أدوات، من خلال حجابات، أنت لا تستطيع أن تعرف شيء ما إن لم تستخدم ما كُنتَ تعرفه مسبقاً، أبسط مثال على ذلك هو الكلمات، لا نستطيع معرفة معنى أي مفردة جديدة إلا من خلال كلمات معروفة مسبقاً، وقس على ذلك كل شيء، وفي الحقيقة هذا مدروس جداً وينال اهتمام كبير في دراسات التعلم لدى الإنسان وبالتحديد موضوع "التحيز المعرفي" وغيره من المجالات، حيث تلعب معرفة الفرد المسبقة والطريقة التي حصل فيها على المعارف وترتيبها دوراً في تحديد نظرته للأشياء، تكون المعارف ضمنية أي باطنة بينما تظهر من خلال الممارسة والأفعال، وهكذا هي فكرة الإله، إنه أمرٌ باطن وفي معتقدي أنه يظهر لنا من خلال كل الأشياء والأفعال من حولنا، من خلال دراسة الكل.

لقد فتحت الفيزياء مجالاً لإدراك حقيقة أن هناك حقاً أبعاد لا نستطيع إحصاءها، ولكننا نعلم أننا (كبشر) نعيش في عالم مكون من أربعة أبعاد، الطول والعرض والارتفاع والزمن، هذه هي أدوات الإنسان ليفهم من خلالها الإله، لم يوضح الإله نفسه له، بل ظهر له بما يستطيع إدراكه، ويرتقي الإنسان في كل مرة استطاع أن يدرك فيها معرفة أكبر، أن تؤمن بإله ثم تضعه في أماكن غيبية لا يمكن إدراكها لهي إنكاراً له أصلاً، فإن

كنت تؤمن بإله عليك أن تبحث عن وجوده، وعندما تجده تجد أنه كان واضحاً من البداية لكنك لم تكن تفهمه، فالإله _أو حتى أي فكرة أخرى_ لا يمكن حصره بحدود، إن كل ما نقرأه في النصوص الدينية بمختلف المذاهب قابل للتفسير على مستويات مختلفة ومتباينة جداً من الفهم وبأشكال كثيرة... وتظهر في النهاية تبعاً لطريقة تلقي الإنسان لها، فتفسير الإنسان للنصوص الدينية يحدده مدى استيعابه للمعارف المحيطة به وطريقة تفكيره، لا كما هي على حقيقتها، هناك إمام لدينا نحن العلويون قد فسر أحد النصوص لسائلٍ سأله بمجموعة قصص وصور عن الملائكة والشيطان والملكوت، بينما قام بتفسير نفس النص لسائل آخر بأمور عقلانية وعلمية، والسبب في ذلك يعود إلى نسبية البشر واختلاف مستوياتهم الفكرية، البعض لا يستطيع فهم الظواهر من حوله إلا بوصفها أمور خارقة وقوة غريبة وآلهة وحساب، لا يستطيع استيعاب التفسيرات العلمية التي تستطيع أن تقولها لهم، ويختلف الأمر كلما ارتقينا في المستوى الفكري، كل ما تم تفسيره عن طريق قصص غيبية تنقل نفس المعنى والذي اختلف هو فقط الأداة،

هكذا هي الحال إلى أن يصل الإنسان إلى درجة يستطيع التعمق في الظواهر من حوله فتكون قواه العقلية هي الخارقة، كلما تخلى العقل عن أدوات استطاع أن يقترب من الحقيقة أكثر، لهذا تجد المتصوفون يرددون دوماً "من عرف نفسه

عرف ربه" لأنهم يرون أن الإنسان بأفعاله وأفكاره هو ما يحدد الإله الذي يؤمن به، فلا يمكن القول أن فاعل السوء أنه يؤمن بإله ذو طابع خير، وهذه مشكلة عامة المؤمنون، يتكلمون عن إله ذو خير وحكمة مطلقة وهم لا يفعلون شيءً من هذا الخير والحكمة وفي هذا فإنهم لا يؤمنون به في الحقيقة، بل يجعلون من أهوائهم ورغباتهم هي الآَلهة، في النهاية الإنسان هو صورة للإله سواء كانت صورة جزئية أو كلية، فهو من يبحث في الظواهر من حوله ويكتشفها ويقدم إضافاته عليها ويمتلك الإرادة في الصنع والابتكار والخلق، ولكنك تجد أن هذه الصورة الكلية لدى الإنسان محصور حتماً بالمعرفة، عند المتصوفون يشبه مكانة الإنسان من الرب إلى حد كبير مكانة النفس من العقل، للعقل إرادة مطلقة، لكن لم تستطع النفس أن تصل إليها بكليتها إلا من خلال شرط وحيد فقط، وهو المعرفة، يعتقد الملحد أن لا إله له، ويعتقد المؤمن أن له رباً في السماوات، وربما يجد البعض أن هناك أكثر من إله له، في النهاية يبحث الجميع عما يتناسب مع معرفته الشخصية، وأخيراً تكثر الكلمات ويصعب إيجادها عند الحديث في هذه النقطة، هنا ينهار كل ما تريد أن تتكلمه، لأنه لا يوجد من الكلمات ما يخدم الصورة المطلوبة، أو على الأقل يحتاج من البلاغة ما لم تصل إليه نفسي بعد، وهذا سبب مقولة "المعنى مرتبط بالسياق"، ألا ترى أن الشعراء قد يستخدمون صوراً وتشابيه وكلمات مختلفة تماماً عن الموضوع لكنها

تستطيع إيصال المعنى من خلالها؟ وكذلك أمثال القرآن والإنجيل أو ملحمة الإلياذة أو جلجامش وغيرهم من النصوص الدينية والفلسفية؟ لأنها لا يشترط عليها أن تكون حقيقية بل أن تؤدي المعنى المطلوب، فعندما أقول في العربية "يأخذ من الجمل اذنه" تعني أن الشخص يترك زبدة الموضوع ويركز في تفصيل لا فائدة منه، لا تحتوي الجملة على أي كلمة تتعلق بالموضوع لكنها تنقل المعنى المطلوب، وهكذا هي فكرة الإله بل وأي فكرة من الأفكار الأخرى، يرتبط معناها بالحيثيات والمجريات أكثر من التعبير عنها بالكلمات، في النهاية أنت تحدد ما ستتبعه وأنت ستحدد الطريقة والممارسات، أو بالأحرى ليس أنت بحد ذاتك بل "معرفتك"، معرفتك ستحدد كل شيء، بدءً منك وانتهاءً فيك.

بطرس: في كلامك تتلاشى الكثير من الأمور والأحداث وتبقى المعرفة هي المحور الأساسي الذي يدور حوله الحديث، تتطرق في الكلام لتصل إلى مواضيع مختلفة ثم تعود لتكرر نفس المفردة "المعرفة"، يبدو أنها ليست مجرد طريق كما قلت سابقاً، هي الطريق وهي الوصول وهي الكل،

لقد اشتدت الشمس الآن وسيتقدم النهار، إن اليوم مبارك لأننا تشاركنا هذه اللحظات.

رواد: ليس ذلك وحسب، إن اليوم كذلك عيد الربيع أو "النيروز" عندنا نحن العلويون، والذي يجمع العديد من

الأحداث التي ترمز للتجدد والحياة بدأً من قديم الزمان وحتى الآَن. مبارك عليك يا بطرس، صلّي لنا في الكنيسة وادعو لنا.

بطرس: يبدو أنه عيد راسخ في القدم ما رأيك أن نعود لنلتقي؟ في عصر اليوم مثلاً، ونتحدث عنه؟

رواد: هناك الكثير مما ستعرفه اليوم، حسناً تعال عصر اليوم، وسنذهب إلى مكان سيروي لنا من التاريخ فصولاً... سأتركها مفاجأة لك، هيا لنقم ونعود قبل أن نتأخر.

بطرس: (ثم وبعد جلسة جميلة مكثنا فيها في حرم الجمال، تأهبنا وأعدنا الإحماء لكي نعود أدراجنا جرياً على طول الطريق إلى أن نصل عند النقطة التي سنفترق فيها، ودعته وأكدت على اتفاقنا في الالتقاء عند عصر اليوم ثم افترقنا، ولكن لم تفارقني كلمة عيد الرابع، ترى ماذا يحمل هذا اليوم من أحداث مضت، تنتظرنا العديد من المواضيع التي لم نتطرق إليها بعد.

أخذتُ حماماً عندما وصلت منزلي وارتديت ملابس جديدة وخرجت بعد الفطور متوجهاً إلى الكنيسة، هناك دخلت إلى الكنيسة وقد كانت هادئة وخالية من الناس، توجهت لأيقونة المسيح الموضوعة فوق الشموع، تلوت الصلوات ودعوت بأن نكون على درب الحكمة.

أيها الرب، إلهنا العظيم

لا يسعنا على أن نشكر كل نعمك

إنك وافر النعمة ولك التبجيل

أيها الرب، إلهنا العظيم

أدم في قلوبنا الصغيرة محبتك

إنك الجدير بكل الحب ولك التبجيل

أيها الرب، إلهنا العظيم

اجعل طعامنا هو العلم، وشرابنا هو عشقك

افتح لنا بابك، واكشف عنّا حجابك

واجعلنا واحداً مع الكل

آمين....

بهذه الكلمات تلوت، ثم دعوت وشكرت، ثم خرجت من الكنيسة وتوجهت للبيت، أحضرت معي طلبات عائلتي من المتجر، ثم جلست إلى حين موعد العصر أقرأ وأطالع بعض المعلومات التاريخية،

إلى حين ورود رسالة من رواد إلى هاتفي تقول "أنا أنتظرك، تعال سنخوض رحلة كبيرة من التعلم"، فهممت أعدُّ نفسي للّقاء به، اتصلت به وأنا في طريقي إليه ليخبرني أنه ينتظر عند مدخل بلدة القنجرة، البلدة التي يسكن فيها، فذهبت إلى هناك وسألته عن سبب لقاءنا هنا فقال:)

رواد: كون موضوعنا سيكون عريقاً وغارقاً في القدم سنذهب إلى حيث يقيم أهله، إلى المكان الذي ذاع فيه صوت موضوعنا على مدار زمن طويل وحتى لم ينته إلى الآن، سترى إلى أين نحن ذاهبون...

بطرس: (فمشينا بعد اللقاء في طريقنا بين الأراضي الزراعية وبعض البيوت الريفية للذهاب إلى ذلك المكان الذي يتحدث عنه وأخذ يحدثني عن عيد الربيع.)

رواد: من الاسم الخاص بالعيد يتبادر لنا الهدف منه، انه احتفال بقدوم الربيع، لكن ليس بالربيع الذي يتجلى في المظهر الخارجي فقط بل يمتد ليشمل الربيع الداخلي حين تزهر النفس، إنه يحمل رمزية عميقة جداً، يحمل في سره ولادة جديدة، يحمل إشارة إلى الفناء وإلى الانبعاث من جديد، إن هذا العيد بدأ في الحضارات القديمة.. قبلنا بكثير، احتفل فيه سكان الشرق الأوسط من الأكاديين الآشوريين والفينيقيين والبابليين والعموريين والآراميين والعرب وامتدادهم من السريان والروم والإغريق من سكان هذه البلاد...

كان يسمى في اللغة السومرية "أكيتو" و"ريش شاتين" بالأكدية ونرجح أن معناهما رأس السنة، وسُمي لدى الفرس ب "نيروز" وقد ارتبط بحدث عظيم لديهم مع ملكهم "جمشيد".

اعتُمِدَ أول تقويم زمني على سنة مكونة من 360 يوم يتم تقسيمهم على اثنا عشر شهراً، تبدأ السنة في الربيع وبالتحديد عند حلول الشمس في برج الحمل، وتنتهي السنة مع نهاية الشتاء ختاماً في برج الحوت، وبهذا فهو يمثل بداية العام الجديد ونهاية العام الذي قبله، لقد رمز هذا اليوم (عيد الربيع) منذ أن وُجد وحتى مضت جميع الأحداث المرتبطة به إلى التجديد والتغيير وإلى حكمة التوازن والتناغم في هذه التحولات والتغيرات والتقلبات الذي يعيشها هذا العالم.

بطرس: هل يمكننا أن نغوص في تفاصيله أكثر؟! لا أعرف كثيراً عن الأحداث التي ذكرتها والأسماء التي أطلقتها عليه ودلالتها.

رواد: ها نحن قادمون يا بطرس.. استوحى الناس من الشتاء رمزية انقباض الحياة، حيث تختبئ خلاله الحيوانات في ملاجئها، وتغطي الثلوج والأمطار والعواصف جميع الأراضي، أيضاً تختفي فيه الشمس وضوئها وراء الغيوم لفترة لا بأس بها، إنه بمثابة المخاض الذي يمهد للولادة. ومع قدوم الربيع تعود الحياة للظهور من جديد وتبدأ الولادة بالحدوث.. فكان ليوم ربيعي جميل مثل هذا أن يكون له النصيب في أن يكون رأس السنة الذي يستقبل عاماً جديداً مليءً بالحياة على أمل أن يدفن ما مضى من موت وأحزان، إن فلسفة العيد لهي بذاتها الفلسفة التي توحدت فيها كل المفاهيم وكل المعتقدات وكل العلوم، بكل أطياف العالم بمكوناته واختلافاته وتناقضاته. لأنه (العيد) يشير إلى التغيير وعدم الثبات وأن التغيير هو

الحقيقة المطلقة في هذا الكون التي تتجسد في التناغم، يحدث التناغم فقط عندما تتلاشى التناقضات، تتلاشى البداية والنهاية، يتلاشى الحياة والموت، تتلاشى القبل والبعد (أي يتلاشى الزمن)، يتلاشى الصحيح والخاطئ، وتبقى الأمور في انسيابية ووفاق، سأشرح لك هذه واحدة تلو الأخرى.

تتوحد فيه جميع المفاهيم لأن جميع المفاهيم قابلة للتجدد والتغيير ولا يوجد مفهوم تام وكامل بل إن كل المفاهيم تحتاج إلى بعضها البعض في تفسيرها، فلا يمكن تفسير أي مفهوم من دون مفاهيم أخرى.. تتوحد جميع المعتقدات والأديان والعلوم لأن التغيير يجعل من الآَخر مقبولاً، حيث لا يمكن النظر للآخر على أنه حالة مستمرة دائمة الظهور، بل إنه يعبر عن حالة مرحلية مؤقتة من سلسلة تغييرات مستمرة تتفاعل مع حالة الآَخرين الحالية، أي أني عندما أنظر إلى الآَخر فإني لا أنظر لحقيقته ولا هو ينظر إلى حقيقتي، بل إننا عبارة عن محطة مرحلية يحدد فيها تفاعلنا مع بعضنا كيف سنقوم بالعبور نحو المحطة التالية.

أما من حيث المعتقدات فإنها تتوحد عندما تدرك أنها ليست سوى تعبير وتجسيد لأفكار لا يمكن الإحاطة بحقيقتها، أي أن الاختلاف بين المعتقدات ليس سوى تفسير مختلف نتج عن تغيير في العوامل الظرفية المكانية والزمانية والاجتماعية الخاصة بالجماعة، حيث أنهم جميعهم حاولوا بلوغ الحكمة

وهذه هي غايتهم، فهي غاية وحيدة ولكن الاختلاف والتباين في المعرفة وشكلها هو ما أظهر الخلاف.

المفاهيم والقواعد تتغير وفق سياقات وعوامل مختلفة فمن الحكمة العمل على تجديد الأفكار ومعرفة أشكالها الجديدة والتخلص من المعارف البالية للفرد وهنا تتجلى أحد أشكال فكرة تجديد النفس التي عبَّر عنها هذا العيد.

التغيير هو الشيء الوحيد الذي يدوم دوام الوجود، ولا يعني بالضرورة تغيير القواعد دوماً، بل يعني ربما تغيير طرق تنفيذها أو ابتكار شكل يتناسب مع الوقت الحالي، فصدِّق أيضاً أن كل ما ظهر من عادات ومعتقدات بالية _*وأرجح ذلك غالباً*_ سببه تغير نمط حياة الناس وعقولهم ومواكبة أمور جديدة مختلفة كلياً عما كانت عليه في الماضي إضافة إلى قيامهم بمحاولة اتباع المفاهيم والتفسيرات القديمة والتي أصبح من الصعب فهم وإدراك حقيقتها في ظل تغير المعرفة واللغات والعادات وكل شيء... وهذا ما يعرضها _*وبشكل كبير*_ إلى ممارستها وترجمتها بشكل مختلف تماماً.

بطرس: تتمسك عقلية الناس في الثبات، تخاف من التغيير على رغم من أنه الطريقة الوحيدة للنجاة، لكنهم يفضلون التمسك بآرائهم حتى لو تم إثبات فشله، هذه العقلية مدمرة للمجتمعات الإنسانية ولكنها للأسف منتشرة وعابرة لكل المجتمعات.

أن تعيد تكرار الفعل بهدف البحث عن نتائج مرضية لما تعتقده لهو أمرٌ ساذجٌ جداً، عليك أن تغير ما تعتقده من الجذور، يقول آينشتاين "من السذاجة أن تعيد تكرار نفس الفعل وتتوقع نتائج مختلفة"، هنا تماماً تبدأ الحرية عندما يقبل الفرد تغيير ماهيته كلها والتخلي عن كل ما يعتنقه ويبدأ في رحلة تناغم مع كل ما حوله.

رواد: بدأت تشرب فمرة العيد.. قد وُجدَ من الناحية العلمية أن العالم ليس في حالة فناء، ولا في حالة نشوء، بل إنه في حالة تجدد مستمر، أو بالأحرى كل شيء فيه يتحول من شكل إلى شكل آخر.... لا تموت ورقة الشجرة، بل تيبس ثم تسقط ثم تتحلل ثم تنضم إلى التراب ثم تتحول إلى مواد عضوية ثم تقوم بتغذية شجرة أخرى فتكبر وتنمو لها أوراق لتعود الورقة من جديد، دورة حياة لا تنتهي أبداً بل تتجدد، وفي الفيزياء هناك اكتشافات مذهلة لم يكن أحد يتصور حدوثها تتوافق مع هذا المبدأ يا بطرس، تخيل أن الجسيمات مثل الالكترونات والبروتونات والبيزوترونات وأخرى غيرها تبدو في حجرة التصادمات بهذا الشكل المذهل، حيث يتصادم جسيمان ليعطوا ثلاث جسيمات مختلفة في النوع عن الأصليَّة وفي بعض الأحيان وفي ظروف مناسبة يظهر لنا أن الجسيم يختفي ثم يعود لينبثق من جديد، وأكثر ما يعطي المعنى المطلوب جمالاً أن كلمة اختفاء لا معنى لها هنا بتاتاً فالجسيمات لا يمكن القول عنها بأنها مختفية بل هي فقط

تحولت من شكل إلى آخر، من جسيم مادي إلى موجة ترددية، أي المعنى أن جوهر جميع الأشياء واحد لكنه يظهر في هذا العالم بالاختلاف، الجسيم هنا لا يفنى أو يختفي بل تتوزع طاقته على شكل مختلف.
انتبه.. الطاقة هي نفسها من حيث الكم لكن ظهرت بأشكال ربما مختلفة تماماً عما كانت عليه، هذا كله أعطى نظرة مختلفة لجميع ما هو حولنا من أشياء،[i] وأما عن تلاشي ما هو متناقض مثل البداية والنهاية فيتلاشيان لأنهما مجرد كلمات نشير بها إلى شيء فاني أو (مؤقت) فالنهاية تصبح بداية لتغيير جديد كلياً أو جزئياً والبداية تصبح نهاية للشكل القديم قبل حدوث التغيير، بداية السنة هي نهاية السنة التي قبلها، كذلك الحياة والموت يصبحان مجرد تعبيران سطحيان، لا وجود للموت إن لم تتم الولادة وبالتالي لولا الحياة لما كان هناك موت، قد يكون الموت بداية لحياة جديدة كلياً بينما يمكن أن تكون ولادتك إلى الحياة بداية لموت بطيء يحدث لك، تقول بعض الأديان أن هناك آخرة تذهب لها الروح بعد الموت وبذلك الموت يصبح بداية حياة جديدة مصيرها إما نعيم أو شقاء، وهناك معتقدات تقول أن الموت هو بداية جديدة لظهور في جسد جديد، هناك مفكرون يجدون أن الولادة هي اللحظة التي يشكل فيها المرء أفكاره الذاتية ومبادئه وقيمه،

[i] لقد سبق أفلاطون العلم الحديث في فكرة التغيير وقد شرح ذلك من بعده أرسطو بشكل مذهل ومشابه لما تحدثت عنه الفيزياء اليوم، وتحديداً في كتابه "الكون والفساد" حيث نفى فيه وجود العدم وقال بأن المادة لا تفنى ولا تظهر من لا شيء بل إنها تتحول من صورة إلى صورة.

وهناك متصوفون يقولون أن الجنة تصل لها عندما ترى كل شيء حولك نعيم وأن الآخرة هي اللحظة التي تكتشف فيها كل شيء، تكتشف فيها نفسك، تتخلص من نفسك القديمة بكل نزعاتها وأفكارها، تتركها تموت لتبدأ باحتضان نفس جديدة كلياً، تتعدد الأوجه ومبدأ التجدد واحد. ولا ننسى الصحيح والخاطئ وهما الحدان اللذان وضعا حدوداً لكل شيء آخر، وضعا كل القيود التي نعرفها، إن ما تعتقده حول ما تقوم به بشكل صحيح قد تجده يوماً ما خطأً، ولكنك لم تكن تراه من المنظور الذي نظرت من خلاله الآن، هناك قضية فكرية واجهتني منذ زمن عندما تعرضت للسؤال التالي: هل يمكن أن ينتج الشر عن الخير المطلق؟ لا أظن أنك تتوقع أني وجدت حينها أن الإجابة هي نعم، وطرحت مثالاً.. لنفترض أنك حاكم لقبيلة، وهناك من يحمل السيف ويقوم بقتل كل من يراه في طريقه، إن فعل القتل شرير بحد ذاته، فإن قررت فعل الخير ولم تقتل ذاك الشخص سيقوم بقتل الجميع، ولن يؤدي الخير إلى خير، وبذلك يكون قد نبع الشر من الخير المطلق، ولكن هذا ليس كل شيء قد يظهر أناس يعتبرون فعل القتل هنا خيراً، حيث أن نتائجه في هذه الحالة ستكون خيراً، أو قد يقولون أن المصيبة التي حلّت بالقبيلة خيراً لأنهم يستحقونها، وفي كل الحالات نعود لنرى أن هذه المتناقضات مجرد كلمات، مجرد حدود ابتكرها العقل ليحاول قدر الإمكان أن يُظهر نفسه فيها، وهنا تظهر النسبية دائماً تدور بين طرفين

متعاكسين في الاتجاه، بينما يقبع خارج هذين الطرفين عالم تتلاشى فيه تلك الحدود وهذا ما يبشّر به عيد الربيع، يشير إلى ما هو خارج الحدود، إلى الحياة خارج أبواب الزمان والمكان والمعارف المعتادة، إلى ما هو يفوق التصور، إلى الأمور المطلقة، التغيير، التوازن وغيرهما من الأمور التي تكلمَت عنها حكمة هرمس[i] الرسول، يصبح كل ما نعرفه عن الصحيح والخاطئ أمراً ساذجاً أمام المعضلات الصعبة، "خلف الصح والخطأ هناك ميدان سألاقيك عنده" يقولها جلال الدين الرومي، إنها الميدان الذي يتكلم عنه، وفي عبارات أخرى يقول ديكارت: "بطلان النتيجة ببطلان الاسلوب"، وبهذا يقصد أن النتيجة لا تتعلق بخطأ أو صواب السبب، بل تقتضي أن يكون السبب مناسباً بحيث أظهر تلك النتيجة، بهذه الكلمات قضوا على الحدود وفتحوا مجالات للتفكير بالتناغم والانسجام بدلاً من الصحيح والخاطئ، هنا يأتي دور التناغم يا بطرس، لأن التناغم هو ما يجعل الكون في حالة تجدد، وقد شرح الحكماء كل ما قلته لك منذ أن احتفلوا بهذا العيد لأول مرة ، وذلك في ملحمة الخلق "إينوما إيليش" والتي تعد نصاً مقدساً عن نشوء الكون كتبها السومريون، وهي ترتبط ارتباطاً مباشراً بمعاني هذا العيد.

بطرس: وما علاقة الملحمة تلك بهذا العيد، وما قصتها بالضبط؟

---

[i] أحد أكثر الأسماء إثارةً للجدل في التاريخ، يعتبر شخصية تاريخية تمثل رمز المعلم الحكيم العارف بأسرار الكون.

رواد: تحكي الملحمة صراعاً بين قوى الخير وقوى الشر، شخصية مقدسة تحمل صفات فاضلة تقوم بمقاتلة مكونات الفساد والفوضى والرذائل، ثم يصورون نهاية الصراع بانتصار عظيم للشخصية المقدسة لإظهار إرادة الحياة القوية في الاستمرار وفي اكتشاف الحقيقة، وهذا الصراع يرمز إلى أن هذا العالم المحدود أتى نتيجة المتناقضات (المكونات الفاسدة) بينما تمنح الحكمة القدرة على كسرها والتغلب عليها.

مهما امتلأ هذا العالم بالفجور ستبقى الحقيقة مستمرة ومستترة في ظهورها بهذا الشكل الفوضوي، يصوّر النص بعد انتقاله إلى الحضارة البابلية انتصار موردوخ على تيامت، وقاموا الآشوريون بتغيير المنتصر من موردوخ إلى آشور، وهذا لا يعني بالضرورة أنهم يقومون بتحريف الأصل السومري لها، بل يقومون بالتجديد، فالبابليون عاصروا حكيماً يحارب الفساد والفوضى (الحدود والنسبية التي يعيش فيها الناس) أي أنه أعاد إحياء الملحمة ولكن ببطولته الشخصية وكذلك حدث مع آشور، ولا يشترط نسبها السومري أن ترتبط الملحمة ارتباطاً تاماً بالسومريين، السلطة واللغة كانت سومرية لكن السكان كانوا متنوعين جداً، وفي النهاية لكل أمة أو مجتمع أو حتى عائلة سيظهر فيها شخص يقلب جميع الموازين رأساً على عقب، يحمل معه فضائل مذهلة يحارب فيها كل فساد المجتمع من حوله، ولا بد للانتصار الذي يظفر به والذي يثبت فيه نفسه للعالم أن يُمجَّد، إنه هو المختار،

هو مرآة الكل، هو حامل الراية الجديد، لأن الراية موجودة من قبل وسيعود شخص لحملها فيما بعد، أي أنهم جميعهم نورٌ واحد، أو فكرة واحدة، أو فلسفة واحدة، تظهر متجسدة في كل زمن، يعلن ميعاد الظهور، والتجدد، ليعلن الحياة من جديد.

هذه الفلسفة تظهر تجدد الولاية تجاه الفضيلة، والتي تتمثل في رغبة العقل والفكر المستمرة تجاه التحرر من القيود، الولاية للمعرفة، والمعرفة مولى الجميع. لقد حمل راية الولاية موردوخ، ومن بعده آشور، وربما إيل وبعل قبلهم أو بعدهم، أو ربما هم نفسهم أولئك لكن باختلاف التسمية، وربما أدونيس، وربما مور سيد العموريين (الأموريين)، وربما يسوع المسيح الذي كان موعد قيامته في الربيع، هذه علاقة تلك الأحداث في عيد الربيع، حيث يتناولون نفس الحكمة في رواياتها، هذه الحكمة يعاد إحيائها في كل سنة في عيد الربيع، وحافظنا على استمرار إحيائها نحن العلويون وفيه تتجدد لدينا الولاية لإمامنا علي بن أبي طالب فهو مثال الحكمة لدينا، هذا ما يرمز له العيد.

عندما قمنا بولاية الإمام لم نواليه كشخص فقط، بل والينا كل ما كان قبله، كل من دعا إلى الفكر والفضيلة، لذلك تجد في عقيدتنا يا بطرس أننا لدينا رموز مقدسة تعود لآلاف السنين، لأننا وكما هذا العيد نقرُّ أن الولاية تتجدد، هي لم تظهر حديثاً ولم تنته في غابر الأزمان، بل أزلية وأبدية دائمة، تتغير أشكالها

عبر الزمان، إنها فلسفة أكثر من كونها معتقد وإمامنا ورموزنا أعمق من التفكير بها كمجرد أجسام تظهر في هذا العالم.

بطرس: (وبينما نمشي في طريق بين الأراضي والبساتين، كان اللون الأخضر هو اللون الذي يغطي المشهد بكل تدرجاته واختلافاته، شجر الزيتون والأكدنيا والليمون وبقية الحمضيات، الصنوبر والسرو والزنزلخت وغيرهم، دون أن ننسى الريحان، وعلى الأرض تحتهم الحشائش والأزهار الصفراء والبيضاء وإكليل الجبل وهناك أزهار الجوري والحبق تنتشر أمام البيوت، ومن بين مكونات هذه اللوحة المدهشة العاكسة لبريق شمس العصر الهادئ تظهر أزهار منفردة لونها أحمر.
فقلت:)

انظر إلى هذه الأزهار الحمراء، كيف أنها تنمو بشكل منفرد كزهرة واحدة، تبدو جميلة جداً.

رواد: أتعني هذه (يشير بيده إليها)؟

إنها أزهار شقائق النعمان، ولها مكانة عظيمة مرتبطة بهذا العيد أيضاً، لدى الفينيقيين سكان هذه الأرض سابقاً، كان الناس يبجلون شخص أدونيس وهذا الأخير كان جميلاً ومعشوق الجميع لذا تقول الروايات أنه وقعت في حبه ربة العالم السفلي وكذلك ربة الحب والخصوبة لذا شاءت الأقدار أن يكون نصيب كل منهن في رؤيته أربعة أشهر من السنة،

ليتبقى له أربعة أشهر يقضيها بما يختار هو بنفسه، ولكنه كان يختار ربة الحب عشتار، فكانت الأربع الأشهر التي يقضيها مع ربة العالم السفلي تمثل الخريف والموت وغيابه عن العالم، وبقية الأشهر مع ربة الحب وهي فترة الشتاء والربيع والصيف وعودة الحياة والثمار والخصوبة والحب، وكان هذا الشخص يهوى الصيد ويقضي كثيراً من الوقت فيه، فظهر له في أحد الأيام خنزير ضخم وخشن، ألقى أدونيس رمحه عليه غير أن هذا لم يقتله، ومتجهاً نحوه انقض الخنزير على أدونيس ليموت، وينسكب دمه على الأرض، وعندما رأت جثته عشتار ذرفت دمعها من البكاء والنحيب، فامتزج دمعها مع دمه ونبتت منهما زهرة شقائق النعمان، هذه التي رأيتها أنت، وإلى اليوم وفي كل عام يحدث في عيد الربيع أن يتلون نهر أدونيس في لبنان باللون الأحمر، مما يشير إلى الموعد الذي لامست فيه الدماء مياهه، إن قصة أدونيس هذا أو "تموز" في بلاد الرافدين مذكورة لدى جميع الحضارات، بل وحتى يمكن رؤية الكتاب المقدس العبري يشير إلى الله بلفظة "أدون" التي ظهرت نتيجة الاحتكاك بالثقافة الفينيقية.

وهي (يقصد القصة) بجميع أشكالها ليست بالضرورة تصور مشهداً حقيقياً، بل ترمز إلى ما هو بعيد في أفق العقل، فأدونيس يشير إلى السماء أو في معنى آخر (العالم العلوي)، الروح أو المعرفة العليا، بينما تجسد عشتار الأرض والخصوبة، ولدى الإنسان ترمز للحب والعشق والإنجاب

والولادة، وأما ربة العالم السفلي ترمز إلى موت والخنزير يجسد الخطيئة.

بطرس: إذاً كيف تصبح مدلولات القصة بالنظر إلى معاني تلك الرموز؟

رواد: قبل انبثاق الإنسان إلى هذا العالم يكون روحاً من الإله، يكون فكرة وربما شيفرة كما وضحنا سابقاً، لم تتجسد بعد، وعندما يلتحم جسده وعظمه يظهر لديه اتجاهين متعاكسين، تبدأ الحدود بالظهور، هذا الجسد يواجه عالماً يحمل بداخله الخطيئة وإضافة إلى ذلك يحمل الفضيلة أيضاً، يكتسبهما الإنسان بشكل متساوي، ثم يقرر فيما إذا كان سيغذي داخله من الأولى أم الثانية..
وباعتبار أدونيس روحٌ قدسية فقد اختار الفضيلة، غير أن الخطيئة تبقى تلاحقه حتى توقِع به، وتقضي عليه، أو على ظهوره، لأن هذا النزاع بين الطرفين لا ينتهي إلا إذا تم الخروج من العالم الذي يحملهم، لذلك أدونيس يمثل التضحية وبذل النفس في الجهاد ضد النزوات والرذائل، فإما أن تبقى قوياً وتقاتل حتى آَخر نفسٍ لك أو تسيطر عليك، وإن لم تسيطر عليك فستبقى في نزاع معها حتى الموت (كما الحال عند أدونيس)، لكن في موتك حياة، في موتك تظهر الزهور، لأنك لم تعد تظهر كجسد، بل تظهر في الكل، لقد قتلت النفس ذات الحدود وأصبحت أنت العالم، تتحد معه، فتصبح

قطرات دمك ليست مجرد سائلٍ أحمر، بل أزهار جميلة، ويصبح كسائك ليس جلداً، بل خضار الربيع.

اللحظة التي مات فيها أدونيس تجسد انتهاء معركته مع نفسه وسموّه لشرف الفضيلة الخالدة، وتحمل أيضاً معاني أخرى مختلفة لن نتطرق لها جميعها، لقد شارفنا على الوصول، لقد سرنا لمدة ساعة كاملة سنستريح عندما نصل.

بطرس: (كنت ألمح بينما هو يتحدث مفترق طريق، على اليسار طريق يأخذنا نحو الشاطئ بينما يأخذنا الطريق اليميني إلى طريق محاط بأشجار السرو، ينتهي إلى قرية ساحلية تسمى "رأس شمرا"، سلكناه ومضينا فيه وما إن بدأ الكلام عن أدونيس حتى لاحت إلي مجموعة من الأحجار الكبيرة بعض الشيء المصطفة فوق بعضها والمنتشرة عبر مساحة من الأرض.)

رواد: ها قد وصلنا مرحباً بك في أوغاريت يا بطرس، أرض الأجداد.

بطرس: هذه إذاً المفاجأة!، أهذه هي أوغاريت التي سمعنا بها، والتي أنشدت أول معزوفة إلى العالم، وسطرت أول أبجدية للغة!، وزرعت في أراضيها سنابل السلام!، يا أهلاً.

(وصلنا مع التقاء الشمس مع الأفق، لم أشعر بمسافة الطريق الطويلة فقد شغلنا الحديث وعمق الموضوع الذي أخذني أبعد من هذا الطريق بكثير، أهلاً بأرض الشمس والسلام،

جلسنا على قطعتين من الأحجار قرب قوس كبير من الأحجار يُرجَح أنه يعود إلى بوابة معبد قديم، وهنا برح رواد يخبرني لمحة تاريخية عن هذه المنطقة وكيف وبعكس التجمعات الأخرى ذات الثقافة الموحدة كانت هذه الأرض مزار الجميع، ومعبد كل الأديان، وملتقى جميع الثقافات، وتناول في حديثه الفينيقيين وأسطورة طائر الفينيق وارتباطها مع أسطورة أدونيس، حيث أن كلاهما يعدان رمزاً حاضراً للتجدد والبعث من جديد، يفني طائر الفينيق نفسه ويتحول إلى رماد، ثم يعود إلى الحياة مشعلاً ناره ليظهر إرادة الحياة وأنها ستتغلب على كل شيء، كما فعل أدونيس، كي تحصل على حياة جديدة لابد لك أن تموت، لا بد أن تفني نفسك، أن تفني "الأنا"، ألّا تجعل من نفسك مكوِن منفرد منفصل عن هذا الكون، بل أن تكون الحجر والشجر والماء والهواء، أن تكون كل شيء، وكل شيء هو أنت، لا يمكنك أن تكون كل شيء إن كنت أنت، إما أن تغذي نزعة التكبر، فتبحث لك عما يشبع رغباتك من سلطة وتقدير وجاه ومال، وإما أن تقطع عنها الإمدادات فتموت، لتبقى أنت مجرد مرآة تعكس كل ما هو حولك.

ثم بدأ يحكي لي عن تاريخ هذه الأرض، ومن سكنها والأقوام التي عبرتها مضيفاً بعض أفكارهم وأساطيرهم، وكيف بدأ الاستقرار مع اكتشاف الزراعة وتم بناء المستوطنات وتبعه تطور في العمارة والفن والثقافة، ونشأت الأنظمة السياسية والاجتماعية إلى أن توقف لحظة عن الكلام، وحدث أن رأى

انعكاس الشمس يظهر بشكل مختلف، وتبع مصدره ليجده منعكساً بشكل متتالي على أكثر من حجر مطلي بالصمغ المتبلور عبر الزمن ليشير في النهاية إلى مجموعة من الرسومات، والتي فسرها رواد على أن هناك معبداً مدفوناً في مكان ما في هذه المنطقة ومكانه مخبأ ومجهول، بحث رواد في الأرجاء متتبعاً ما قام بتفسيره عن النقوش ليجد سنابل مرمية في حفرة، قال لي أن هناك بئراً يقبع تحت هذه السنابل، اقترحت عليه الحفر لكي نجده، فقال لي: "أنه متى قمنا بالتدخل فسنخسر كل شيء، وأكّدَ على أن من يستحقُّ أمراً ما فيجدر به ألا يقوم بأي فعل يهدر فيه هذا الاستحقاق، طالما أنك استحققت الوصول إليه فابق على الطريقة التي جعلتك تستحقه لا تقم بإفساح المجال لأي بادرة من بوادر الاستغلال، فهي الفاصل في التغذية بين شيئين منفصلين تماماً، قد تجد شيء ما إن قمت بالحفر، ولكنك ستجد ما هو أثمن من ذلك بكثير، عندما لا تبحث لأجل أن تجد بل أن تبحث لأجل أن تعرف، هنا تجد نفسك، لا تطمع في الحصول، اطمع في المعرفة".

سكت وتابع النظر إلى السنابل وإذ بدأت الأتربة من تحتها بالتكشف، وذلك كان بفعل حدوث هزة أرضية بسيطة، لم أشعر بها أنا، لكن أخبرني بها هو، وكانت كفيلة بأن تزيل طبقات التراب ليبدأ شيء ما بالظهور، ها قد وجدنا البئر، بعد انكشاف ما يقارب نصف المتر من التراب، سألته على الفور:)

بطرس: كيف كان هذا البئر هنا طوال تلك الفترة دون أن يقم بإيجاده أحد، إنها مجرد نصف متر، أليس من الغرابة ألا يكون قد وجده أحد قبلنا؟

رواد: إنها ليست نصف متر يا بطرس، إنها أكبر من ذلك بكثير، لقد كان هذا البئر على عمقٍ أكبر من ذلك بكثير، لا أعرف سبب صعوده بهذه الطريقة لكني أرجح أن ذلك كان بسبب الهزة الأرضية، أتعلم شيءً عن الأعمدة الهوائية؟

بطرس: أعمدة هوائية! ما هذه؟

رواد: هناك بحث كامل في الفيزياء يدرس انتقال الأمواج والاهتزازات عبر الأنابيب، وهذه هو المقصودة بالأعمدة الهوائية، أغلب الظن أن هذا البئر الذي أمامنا الآن فارغ، انظر أيضاً كيف أنه مغلق ببوابة سطحية حديدية تشكل سطحاً محرقي (مقوس بشكل منتظم)، عندما حصلت الهزة الأرضية كانت خفيفة بالنسبة إلى كل محافظة اللاذقية ربما... لكن فراغ هذا البئر من الداخل ونهايته المغلقة في أعلاه أدى إلى تضخم الاهتزازات بالنسبة إليه أي أنه أصبح مثل الرنانة، تتضخم قوة الاهتزاز كلما وصلت إليه هزة أرضية، وأصبح يتماشى مع اتجاهها وبسبب أن الأرض تتولى أمر حمله فإن الاهتزاز القادم من باطن الأرض في الأسفل دفعه نحو الأعلى لكن هذا ما يذكرني بأمر ما..

لا بد أن الفراغ الذي أصبح بين جدرانه وبين الطبقات الترابية والصخرية نتيجة صعوده سيؤدي إلى انزلاقه فيما بعد، كأنك تقوم بخض أنبوبة برنجلز من أجل سقوط رقائق الشبس أو عندما تقوم بخض المعلبات لينزلق ما بداخلها، فالأرض هنا علبة فارغة تحوي بئراً معلقاً بفعل مجموعة من النقط التي تثبته، متى ما انهارت عاد للانزلاق داخل الأرض، لنلحق الآن ونرى داخله قبل حدوث ذلك.

بطرس: (فتح رواد البوابة ونظرنا للأسفل حيث لا يمكنك أن تجد شيء سوى السواد، ارتبكنا قليلاً ولمحت بعض ملامح التفكير والحيرة على وجه رواد، شعرنا بهبوب الهواء بقوة فجأة، نظرنا للسماء لنجد أن الغيم قد احتل السماء، هذه الطبيعة المفاجأة أمر طبيعي في يوم من أيام نيسان وبالتحديد في منطقة ساحلية مثل اللاذقية، يكون النهار حاراً بينما تهب العواصف ليلاً، وأحياناً قد يحدث هذا التقلب المزاجي للطقس خلال ساعة في وضح النهار، والآن فإن الغيم بدأ يصدر منه صوت رعد ووميض برق يظهر في الأفق إضافة إلى صوت أمطار قادمة لم نلمس قطراتها بعد، وخلال ثوانٍ معدودة بدأنا نتحسسها...)

بطرس: ماذا الآن يا رواد، هل ستتحول إلى طائر فينيقي يعيدنا للمنزل؟

رواد: أحسنت، هذا هو الحل نعم، طائر الفينيق، بطرس لقد تخلينا عن كل شيء لكن هناك ما لم نتخلى عنه بعد.

بطرس: ماذا تقصد؟

رواد: تذكر طائر الفينيق يا بطرس، إنه يضحي بنفسه، إنه يفنيها، إنه يكسر كل ما يمسكه ويتعلق به، ما علينا فعله هو أن نصبح طائر فينيق.

بطرس: بماذا تفكر؟ لا تقل لي أنك، (ولم أكمل كلامي حتى قاطعني وقال:)

رواد: نعم يا بطرس، احرص على إغلاق بوابة البئر خلفك.

بطرس: انتظر لا تفعل.. أيها المجنون.. لا.....

(وقفز داخل البئر.... ماذا سأفعل الآن، أنا وحدي في هذا الظلام وصوت المطر وملابسي التي ابتلت وصديقي الذي فقدت وصاله فجأة وأصبح مصيره مجهولاً، مهلاً لحظة.. لمحت ضوءً خافتاً من داخل البئر، إنه ضوء هاتف جوال، يبدو أنه رواد في الأسفل، ثم سمعت صوته الذي تضخم عند انتقاله في البئر:)

رواد: اقفز يا بطرس، أمسك جيداً بحواف البئر كي تستطيع إغلاق البوابة، ثم أفلت يدك وسلم نفسك.
بطرس: (برغم أن هذا جنون، إلا أنّي تذكرت قوله: "أن استحقاق هذا الأمر ضروري لإتمام المهمة"، هنا لا أعلم

الشجاعة التي نبضت في قلبي فجأة وشعرت بأن داخلي يأمرني بتسليم نفسي، تمسكت جيداً بالجدران وأغلقت البوابة، "بسم الرب العليّ" وقمت بالإفلات..
ثواني معدودة وكأنها حياة كاملة، لم أسمع شيء من حولي، ولم أرى شيء، ما هذا الصمت الذي حلَّ فجأة وأين أنا؟، ماذا أفعل؟

صمت وظلام مرعب،

ولوهلة تجد أن هذا ليس صمت،

وليس ظلاماً،

إنها اللحظة التي تكون فيها منفرداً، مع نفسك فقط.

لم أشعر بشيء بعدها سوى أنني كنت مستلقياً ووجدتُ رواد يتفقدني مع ضوء هاتفه.)

رواد: أعلم أن هذا مؤلم، هكذا هي الولادة الجديدة، لا تأتي من دون ألم، تذكر مقولة شمس الدين أليس كذلك؟

(بطرس: بقيت صامتاً لبضع دقائق حتى استطعت الرؤية بشكل جيد، وحتى زال الدوار الذي كنت أشعر به، بدأت أتحسس جسدي، يداي، قدماي شعرت ببعض الألم.)

رواد: لا تقلق إنها رضوض بسيطة ستشعر بالراحة قريباً، الجزء السفلي المقابل لفتحة البئر في هذا الجوف الذي نحن فيه يأتي بشكل تلة حادة الانزلاق نحو الأسفل، وعند نزولك يمكنك تحسس قدماك أثناء لمسها للقمة أولاً وتبدأ بقية أجزاء جسدك بالوصول إلى النقاط التي هي أخفض منها لتبدأ

أنت بالتدحرج بفعل السقوط كل هذه المسافة حتى تتوقف أسفل هذا الانحدار، وهذا جيد لامتصاص صدمة السقوط. التقط أنفاسك، وانهض عندما تشعر بالتحسن.

بطرس: لن أنسى هذه اللحظات في حياتي، حسناً لقد كانت رحلة مشوقة، لكن ماذا سنفعل الآَن، كأننا حبسنا هنا؟

رواد: هات يدك وانهض، لا بد أن هناك دهليزاً في مكان ما، لنقم بالبحث عنه.

بطرس: (أشعلنا أضواء هواتفنا المحمولة وبتنا نتفحص هذا الجوف العملاق، وجدت جدارية بطول وعرض مقداره متراً واحداً تقريباً منقوش عليها شكل طائر، "يبدو أن هناك شيءً هنا" صحت لرواد، ثم لاحظنا أنها قابلة للتحرك وتخفي خلفها ممراً محاط بجدران وأرضية وسقف من الحجر الجيري، دخلناه وقمنا بإعادة الجدارية مكانها خلفنا.)

هنا الهيكل

"إلى أولادنا الذين يشربون من نبع الحكمة العظيم، إلى من ملئوا قلوبهم بالعشق العظيم، الذين أتوا بسلام وسيذهبون بسلام".

"وإن غابت الشمس، لا يعني أن النور يغيب، قد لا تراها، لكنها موجودة.. على الأقل داخلك".

"تتحرك النجوم، تتحرك بروج السماء، يتحرك كل شيء، حتى يبلغ السكون، وعندما يبلغ السكون لا يعود شيء".

"النور الذي ينير لك الطريق، تظنه من خلال المعلمين في حياتك، أو من رسائل تلقيتها أنت، أو من خلال ما تعلمته في الحياة، لكنه في الحقيقة كان ينبع منك لأنك تستحق رؤيته".

"سلامٌ على القادمين، سلامٌ ليس ككل سلام، سلامٌ بدأ منذ الأزل، ولن ينتهي أبدا".

(هذا ما نُقشَ على الجدران بلغة آرامية، استطعت قراءتها نتيجة تعلّمها منذ الصغر، وبعد المشي قرابة العشرين متراً أو

أكثر بكثير وصلنا إلى حُجرة أوسع من الممر الضيق الذي كنا فيه، حيث استطعنا الوقوف بشكل طبيعي دون الانخفاض، وهنا انتهى كل شيء، لقد وجدنا المعبد، وها هي بوابته شامخة أمامنا تنتظر أن يقوم أحد بفتحها،

وجدنا على جانبي البوابة ما يشبه الآنية الحجيرة ملتصقة بالجدار مشكلةً مشعل صغير يوضع فيه الخشب المحترق وقال فيها رواد بأنها كمشعل للبخور، كنت أتقدم لفتح البوابة غير أن رواد منعني، وقال.)

رواد: وفقاً للمبدأ الذي انطلقنا منه بأن نكون مستحقين جديرين لما تم إعطاءه لنا يجدر بنا عدم الدخول هكذا، للبيوت حرماتها أليس كذلك؟ فما بالك إن كان معبداً، هل ندخل بيتاً دون دعوة؟ تعال سنشعل البخور ونسجد هنا ونتلوا ما يناسب.

بطرس: (تحوي الحقيبة التي يحملها رواد دائماً أينما يذهب على العديد من الأشياء التي لا تفارقه، معقماً ومناديل وبعض التذكارات الصغيرة من أصدقاءه، منشفة، بخور، ولّاعة، أقلاماً وأوراق، نسخة صغيرة من الإنجيل والقرآن وأوراقاً أخرى فيها نصوص مقدسة ودفتر، يحملهم رواد دائماً ولا يفارقهم، حتى إنه لا يضعهم في غرفة منفصلة عنه، بل يضعها حيث يجلس دائماً، وقد تجد فيها أحياناً كوبه الخاص وبعض البسكويت.

وضع منديلاً فوق بقايا الحطب الصغيرة والتي دهشنا لبقائها محفوظة طوال تلك السنوات في المشاعل، وقام برش المعقم الكحولي عليهم وأوقد ناراً صغيرة كفيلة بإشعال البخور، وقفنا إلى جانب بعضنا أمام البوابة وهممنا بالسجود، انتظرنا إلى أن امتلأت الحجرة بعبق البخور، ثم قمنا، تناول رواد الإنجيل وفتح على بشارة يوحنّا وتلا بصوتٍ عميقٍ عالٍ بعض الشيء قسماً من الفصل الأوّل فيها (الكلمة صار جسداً):

[1]في البدء كان الكلمة،

والكلمة كان عند الله،

وكان الكلمة الله،

[2]هذا كان البدء عند الله،

[3]كل شيء به كان،

وبغيره لم يكن شيءٍ مما كان.

[4]فيه كانت الحياةُ،

والحياة كانت نور الناسِ،

[5]والنور يضيء في الظلمةِ،

والظلمةُ لم تدركهُ.

(أمسك بعدها القرآن ثم تلا:)

اللہ الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيامٍ ثم استوى على العرش ما لكم من دونه وليٍّ ولا شفيعٍ أفلا تتذكرون (4) يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يومٍ كان مقداره ألفُ سنةٍ مما تعدون (5) ذلك علم الغيب والشهادة العزيز الرحيم (6) {السجدة}

(ثم لحقها بدعاءٍ منه أن يفتح الله طريقنا، هممنا بالتوجه بعدها إلى البوابة وقال لي "هيا حان الوقت لنفتحها"، لم أتصور يوماً لحظات جميلة مثل هذه، تكون فيها أنت أول من يفتح باباً لم يتم فتحه ربما منذ آلاف السنين، إنها لحظات تحبس الأنفاس، نقوم الآن بسحبه من مقبضه وبدأنا نشعر بنفير من الهواء يخرج من هذا الباب، حتى تم فتحه بالكامل، وكأن هذه اللحظات مشاهد من ولادة، من انبثاق حياة جديدة أو مشهد لبداية نشوء الكون، لقد أصبح المعبد أمامنا مفتوحاً وداخله واسع بشكل أكبر مما كنت أظن بكثير، بدأنا في السير داخله وكان سيرنا في ممر رئيسي يمتد من الباب وحتى الجدار المقابل له نهاية الممر، وعلى جانبي الممر يوجد مجرى للماء بعرض 20 سم، تبعد الجدران الجانبية عن مجريي الماء مسافة لا بأس بها بحوالي أربعة أمتار، سرنا على طول الممر نتبصر في الجدران المليئة بالنقوش والكتابات والرسومات التي تصور العديد من الأحداث والأخبار والمعاني.)

رواد: ما كان الذي اخترناه من آياتٍ عبثاً يا بطرس، انظر إلى بشارة يوحنا واقرأها سطراً سطراً، إنها لا تتحدث فقط عن اليوم الذي ظهر فيه يسوع المسيح للعلن، إنها كملحمة الخلق والتكوين، إنها تصف أحداث البداية، حيث كانت الكلمة صوتاً مخفياً، وعندما بدأت تلبس جسداً ظهر العالم كلّه، مجرد أمواجاً طافية، كل شيء فيها لكنها ليست بالشكل الذي يبدو لنا، هي نفسها الكلمة لكنها أصبحت ظاهرة بشكل كواكب ومجرات وكائنات، كل شيء به كان.

والجميع أصبح يستطيع رؤية الكلمة وملامحها وأحرفها ربما، أما صوتها المخفي فلا، ولا أعني الصوت الذي نسمع، بل يُقصَد به مصدر ورود هذه الكلمة، الذي جعل كل هذا العالم ينشأ ويتشكل، لقد أضاء الظلمة أي أظهر نفسه وكشفها، أصبح كالكتاب المفتوح الذي ينتظر من يقرأه، لكن الظلام لا يدركه، أي من ينكره لا يستطيع معرفته، يستطيع رؤية الكلمة، رؤية كل هذا العالم، يستطيع قراءة الكتاب، لكن لا يستطيع أن يعرفه، هذا الكتاب لا يمكن فهمه إلا إن عشته، كالحب تماماً إن لم يكن هو.

ولا تظن أن الأيام المذكورة في القرآن هي بمثابة الأيام الأرضية، في هذا العصر أصبحت السنة الضوئية مقياساً للمسافة، فلا تحصر مفهومك لليوم كزمن قدره 24 ساعة أرضية، لو كنا نحن أجساماً بحجم الكرة الأرضية لرأينا سرعة دوران الكواكب لا تتعدى الثواني واللحظات، وقد قال لك

ذلك بصريح العبارة "يومٍ مقداره ألف سنة"، فإن كان اليوم الأرضي نشعر به كأنه 24 ساعة بينما تشعر به الأرض كأنه لحظةً واحدة يمكنك أن تتصور يوم كامل للكون ماذا يمكن أن يكون بالنسبة لأجسادنا الصغيرة، قد يكون ربما ألف سنة، وهذا كله ربما يكون مجرد تعبير مجازي لإظهار مدى عمق المعرفة المتعلقة بنشأة الكون والعالم والمظهر، بينما جوهره أو ماهيته موجودة منذ الأزل.
هذا التوثيق للماهية أو الكلمة ولحكمة الوجود مدون منذ القدم في النصوص المقدسة والملاحم الأسطورية والمؤلفات الهرمسية ولدى الحكماء السابقين أيضاً.

بطرس: (كان مشهد وقوفنا وسط هذا المعبد متأملين لكل ما حولنا أشبه بخيال، لم أتوقع أن هذا قابل للتحقق، ظلام دامس يحيط بنا، فقط أضواء هواتفنا ما يجعلنا قادرين على الرؤية، لا نعلم حتى كيف يمكن الخروج من ذلك المكان لكن فكرة الخروج كانت آخر ما يمكن أن يشغل بالنا في هذا الحدث المهيب، توجهنا نحو نهاية الممر لنجد ضريحاً متوضع بشكل عرضي وعلى الجدر المقابل لباب المعبد خلف الضريح مجموعة من النقوش والرسومات، تظهر فيه الشمس ويبدو إشعاعها مناسباً ليظهر بشكل متوجه نحو الضريح وعلى جانبي الشمس طائرين كأنهما حمامتين (وفقاً لحجمهما) إضافة إلى اثنتا عشر شجرة مرسومة بتموضع دائري أسفل نقش الشمس والطائرين،

"هؤلاء هم الحكماء الاثنا عشر" قال رواد،

من الأقرب للخيال أن يكون هناك اثنا عشر شخصاً كانوا يكتبون رسالة للمستقبل، ليجدها شاب يأتي بعد ألاف السنين ويصل لها"، قال رواد هذا ثم تابع:)

رواد: لقد وضعوا هؤلاء الحكماء أمراً ما هنا علينا إيجاده يا بطرس، هذا المعبد كان يستعد طوال تلك الفترة لاستقبال من استطاع اكتشاف حقيقة الماضي، الذي إن نظرنا له وإلى المعارف المدونة في سحيق أزمانه لاكتشفنا أبعد مما يقوله المؤرخون، ويسخر منه المتحدثون، وأكثر مما عاشه العامة منهم،

كل عصرٍ من الزمن يحتوي على الفئة العامة التي تشكل عادات وموروثات، معتقدات ومعتنقات وأنماطاً عادية للعيش، وفئة تقوم بانتقادها ورفضها والتمرد عليها، وتبقى هناك فئة صغيرة جداً مقارنةً بتلك الفئتين، أولئك مستعدون لتعلم كل شيء ويبحثون عن حقيقة كل شيء، ويبتعدون عن اتباعهم الأعمى لأي شيء في الحياة بدأً من بروتوكولات العائلة وانتهاءً بمن ينتقدونها ويُظِهرون أنفسهم على أنهم أسياداً أحرار ومستقلين وثوريين،
هؤلاء القلّة لا يقومون بإنكار نمط الحياة العام ولا يتمردون عليه، لكنهم لا يسمحون له بإيذائهم، هؤلاء لا يعرفون لهم سيداً سوى عقلهم ومبادئهم الفاضلة، لا يقومون بما يتعارض

مع عقلهم، هؤلاء من يتبعون الله حقاً، لأن الله حاضر دوماً، عقولنا وقلوبنا جاهزة للوصول إليه، لكن ليس الجميع يستعد ليعتصم بهم.
(يكمل) ها قد وصلنا إلى المعبد، سلامٌ على صاحب هذا المقام، تخيل.. استطعنا أخيراً رد السلام، لقد أُرسِلَ لنا السلام منذ قديم الأزل، وصل السلام إلى من يحيى هنا، ثم إلى الحكماء الذين جددوا هذا السلام ليصل إلينا، أو على الأقل لنستطيع استقباله، للأسف لا أعلم إن كنا نستطيع رد السلام كما أتانا، أن نرده نحو مصدره، أرأيت ماذا يعني السلام، إنه ليس تحية ظاهرية، إنه تحية معنوية، رسالة بدأت منذ الأزل ومستمرة إلى الأبدية مهما اختلفت أشكالها وأوساطها، سلامُ هو منبعها وسلامُ هو هدفها، تأتي بسلام وتختفي بسلام.

يا لجمال هذا المكان، يمكنني تخيل صورته عندما كان فوق في سطح الأرض يأتيه الوافدون والمتعبدون، ويحتفلون فيه بالربيع، يغنون ويتبادلون الأفراح ويقيمون الرقصات الشعبية ويعدون الأطعمة التقليدية، يقيمون الصلوات هنا ويشكرون النعمة التي أبت أن تتفانى يوماً عن التقصير في بركتها لنا، عن تلك التي تحترق لكي نعيش نحن، عن التي غيابها يجعلنا في حزن شديد وبحضورها تختفي الأحزان، الشمس العظيمة، انظر إلى الأعلى (وأشار إلى النقطة المقابلة للضريح في السقف) فتحة بشكل أسطوانة، يمكنني رؤية جزئين متقابلين منها مصنوعين من الزجاج، وأعتقد أنه سيكون الجزء الشرقي

والآخر الغربي، ارتفاعها مترٌ تقريباً وفي الخارج أعلاها قبة زجاجية،

عندما تشرق الشمس لا تستطيع أشعتها الوصول للضريح مباشرةً، فتأتي إلى القبة وتتجاوزها لتصل إلى الجزء الزجاجي الغربي ليقوم بتوجيهها نحو الضريح، وفي وقت الغروب يحدث نفس الأمر على الجزء الشرقي، ليصبح المعبد قابل لدخول أشعة الشمس نحو الضريح على مدى النهار، ليقدم للجميع مشهداً من الجمال تختفي فيه الكلمات، مشهداً يخرجك مما أنت فيه ويتركك تسبح وحدك في سكينة ضوء الشمس، لا يمكننا الآن أن نتمحص دقة تصميم هذه القبة مع الأجزاء العاكسة لكن هذا كله أحد الأمور البسيطة التي اعتادوا أسلافنا القيام بها.

بطرس: لكن كيف لم يتأثر الزجاج عبر لزمن وينكسر؟

رواد: لا أعلم يا بطرس، ربما عندما هجرَ الجميع أوغاريت قام الباقون في هذا المعبد بكساء النوافذ بخرسانة خارجية، إنهم أبطال حقاً لم يتخلوا عن المعبد وبقوا فيه حتى أخذتهم الحياة وبعد طول السنين ورثَت الأرض معبدهم ووضعته في رحمها.

بطرس: وما الذي أخبرك أن هذا ما حدث؟

رواد: لم أقل إن هذا مؤكدٌ مئة في المئة، لكن المرابطون هنا في هذا المعبد لا يمكنك القول أنهم خدام أو متعبدون، إنهم

عشاق يا بطرس، إنهم يجدون الموت في كل شيء آخر ويرون الحياة هنا، قد يهاجر الجميع، لكن العاشق يبقى، العاشق لا يغادر معشوقه أبداً، وقد يغادر بالنسبة لمكانه لكنه يحمل معشوقه في قلبه دائماً، يبني له محطة حيثما تصل قدماه، وهكذا يكون من نقلوا لنا هذه التحفة بسلامة قد كتبوا أجمل الصفحات والسطور في الوفاء والولاء والتفاني في الحياة مع المعشوق، حتى أصبحوا متصلون به في حياتهم وفي مماتهم.

بطرس: إن ما نراه الآن يحمل الكثير من القصص والأحداث، لا يمكن لأي كتاب مهما كان كاملاً أن يوفيها حقها ويدونها كلها، لم أتوقع يوماً أن أشعر في بضع دقائق أنني وجدت الأبدية، لقد بتُّ أشعر أنّي خارج حدود الزمان والمكان.

رواد: دعنا نبحث عن الرسالة التي تُركَت لنا.

بطرس: أين سنقوم بالبحث.

رواد: يبدو أن هناك مخبأً ما لها، أعتقد أن الجداريات المنقوشة يمكن أن تدلنا، تعال لنرى.

بطرس: (أضأتُ بجهازي نحو الجدار على يمين البوابة لنتفحص المكان، كانت الجدارية تصوّر امرأة جميلة تمتطي ثوراً ضخماً وخلفهم جبال شامخة، بينما تجري من تحتهم أمواج البحر. "إنها أوروبا" قال رواد ثم أكمل):

رواد: إنها أميرة فينيقية لديها قصة عظيمة، تقول الأسطورة أن ثوراً أبيض أخذها وعبر بها البحر نحو جزيرة كريت، وتروي القصة أن "زيوس" زعيم آَلهة الإغريق تجسد على هيئة ثور واخذها.

بطرس: وما حقيقتها يا ترى!

رواد: خلف قصة الأميرة التي أخذها ثور أبيض أمر مختلف تماماً، تروي القصة أن زيوس (رئيس الآَلهة الإغريقية بحسب القصة) قد أعجب بجمالها وعظمتها فظهر لها في أحد الأيام عندما كانت على الشاطئ بهيئة ثور أبيض جميل ليلفت انتباهها، وما أن صعدت على ظهره حتى طار بها إلى جزيرة كريت ليتزوجها، وعندما لوحظ اختفاء أوروبا ذهب الأمير قدموس للبحث عنها في قارة أوروبا والذي لم يعثر على أثر لها حتى يأس، أتته رؤية في النهاية تخبره أن يكف البحث ويقدم قرباناً ففعل وبقي هو هناك وشَّيدَ مدينة حضارية عظيمة كانت الأولى من نوعها هناك سُميَت "طيبة" (بالإغريقية "ثيفا").

أما الآَن فلنأتي بقراءة رموز هذه القصة، الثور الأبيض المذكور يشير إلى أحد البروج السماوية مما يعني أن دلالته زمانية يخبرنا بها أن الأمر حدث في أيام ربيعية، وزيوس (الذي يمثل كوكب المشتري) يعبر عن السيادة وتحقيق الذات، أتذكر في أيام كثيرة كنت أرى فيها ذلك الكوكب يسطع بشكل جميل بين

عيني الثور (نجمتين في كوكبة الثور) مما دفعني للاعتقاد أنه وربما كان الأمر مشابهاً لذلك المشهد في الأسطورة، للنظر كيف أصبحت النتائج، الشمس في كوكبة الثور الذي يبدو كوكب المشتري بين عينيه، من الضروري معرفة أن الكوكبة التي تصبح الشمس في مدارها لا يمكن رؤيتها حيث أنها تكون ملازمة مع الشمس، وعندما تغيب الشمس تكون الكوكبة قد غابت معها بينما تظهر بقية الكوكبيات، أي أن الشمس وكوكبة الثور وكوكب المشتري يقعان على خط واحد تكون فيه الشمس أمامهما، هذا يعني أن السعي لتحقيق الذات (المشتري) قد وصل إلى الحقيقة (الشمس)، لا بد أن قدموس خلال فترات سابقة قد رصد حركة المشتري ليتوقع حدوث هذا الاقتران، مما يعني أنه لم يتم اختطاف أخته، ولم يذهب هو ليبحث عن أحد، بل كان يبحث عن نفسه.

نعم يا بطرس، إن الأميرة أوروبا قد لا تكون فتاةً بشرية ولا حتى شخصاً يعيش مع البشر، بل إن أوربا هي روح قدموس التي بلغها عند الوصول إلى الحقيقة، هذه رمزية القصة الحقيقية، وإن قدموس لم يذهب للبحث عن أخته، لأن ليس له أخت مختفية، بل روحه هي التي كانت مختفية ويجب أن يجدها ليستعيد الحياة،

كان يعيش مقيداً مكبلاً بحياة وقواعد لا يمكن أن يدرك من خلالها الحكمة، فانتفض وخاض رحلة البحث عن نفسه لقد صعدت روحه على ظهر الثور وانطلقت لأنه ابتدأ رحلته حين

كانت الشمس في كوكبة الثور، في هذا الموعد حلّقت روحه عالياً بعيداً عن كل القيود، وعندما زادت معرفته وحكمته شكرَ النعمة التي حلّت عليه وقدم أضحية تعبيراً عن البركة ثم أعاد إنشاء حياة جديدة كلياً لا يزال فيها يعيش نفس الدور كقائد وملك، غير أنها أصبحت مترافقة مع حكمة.



بطرس: لم أتوقع أبداً أن تكون الأمور هكذا، فعلاً قد تشير الكلمات إلى ما هو أبعد مما نستطيع الفهم، حسناً إذاً وما علاقة هذا بالرسالة التي نبحث عنها.

رواد: بطرس.. الرسالة مع قدموس، علينا الاتجاه نحو الجدار المقابل.

(وعندما استدرنا وأضئنا الجدار الثاني وذهبنا لتفحصه رأيناه، قدموس يقف ويحمل معه رسالة، أمسك رواد بالرسالة وحاول تحريكها وإذ بدت وكأنها مقبض باب فتحت بها الجدارية الحاملة للنقش الخاص بقدموس، ليتراجع للخلف مسافة نصف متر ويكشف تحته منفذاً مربعاً بداخله صندوق.)

رواد: أرأيت لقد أظهروا لنا رسالة قدموس، لأنه حملها من قبلهم وهم حملوها من بعده، وعلينا نحن حملها الآن، إنها الرسالة نفسها، مهما اختلفت أحرفها وكلماتها.

بطرس: إنها تختلف بالنسبة للجهلاء، وتتوحد بالنسبة للعارفين.

رواد: لنفتح الصندوق إذاً، لقد حان الوقت لصندوق ظلَّ مغلقاً لآلاف السنين أن يتم فتحه.

بطرس: (قام رواد بفتح غطاء الصندوق وهنا ظهر لنا ما في الصندوق، هذا النبع الذي شرب منه الجميع، نبعٌ ارجواني عتيق أزليّ، فاحت روائح البخور منذ أن فُتِحَ غطاء الصندوق، تلاشى كل شيء من حولنا وبقيت الجوهرة التي بداخله.)

الجوهرة

اللاذقية _ القنجرة
صباح الجمعة 21/ نيسان /2023

رواد: أتدري يا بطرس، لم أكن أتوقع أني سأخوض هذه الرحلة، لقد بدأت في قراءة التاريخ منذ سنتين فقط، كنت أتوقع أن أصل لهذه النتائج عندما أصبح راشداً ولكن وفي لحظة تأمل وتعلم تلاشت كل الأصوات من حولي، كل الكتب وكل الكلمات ولم أعد أرى في أي كتاب أقرأه ما يغني عن الكتاب الذي قبله، فجأة وفي لحظة من إدراكك للمعاني الحقيقية، للجوهر بذاته، تجد أن كل ما ستحصل عليه لاحقاً سيرشدك إلى نفس النتائج، نفس المعنى،
بلحظة اكتشفت أن هناك سؤالاً فخضتُ رحلة هذا السؤال، ثم اكتشفت الإجابة، فتلاشوا جميعاً، فلم يكونوا سوى وسيلة أودت بي إلى الغاية، أتذكر ماذا وجدنا منذ بضعة أيام في الصندوق؟ لقد كان فارغاً، لم يكتبوا الحكماء لنا شيءً، وما

الذي ستنقله بضع كلمات! أو حتى آلاف الرسائل المكتوبة؟ هل تستطيع الإحاطة بالحكمة الكليَة؟ قطعاً لا، هم لا يحتاجون لمن يقرأ السطور، هم يريدون من يتبصر في المعاني، كل ما وجدناه في ذلك الصندوق هو فقط مرآة موضوعة إلى جانب كتاب كُتبَت فيه ملاحم أسطورية ونصوص مقدسة قديمة يبدوا أنهم جمعوها، ولكنهم على معرفة بأن من سيتمكن من الوصول إلى هكذا معبد واكتشاف أسراره أنه على علمٍ مسبقٍ بها، ولكنهم أرسلوا رسالة رمزية مفادها أن أقوم أنا بحماية هذا الكتاب من بعدهم، ولذلك أنشأتُ مخبأً جديداً له، لن يستطيع اكتشافه أي أحد، إلا من امتلك عقلية النجاة، من أزال عن بصره وقلبه وعقله ما يحجبها عن رؤية الحقيقة، وأما المرآة كانت هي الرسالة الحقيقية، الرسالة التي نقلتها المرآة هي أن السرّ الأكبر والأعظم يكمن فيك أنت، ليست في النصوص وليست في المعابد وليست في المعتقدات، إنها في المعرفة، المعرفة الملمة بنفسك، منذ آلاف السنين وهذه المرآة كانت تنتظر أن تقول لي "ها أنت بعد كل هذه الرحلة والشغف، خطوت خطوتك نحو نفسك".

أنت بدأت من نفسك وخرجت نحو كلِّ هذا العالم ثم ماذا؟ ثم عدتَ إلى نفسك، أنت البداية والمنطلق وأنت النهاية والمستقر، وأنت الرحلة والقارب، وأنت الشاطئ والبحر، الخاسر هو من يكون قبراً لنفسه بجل أن يكون قارباً.

انتهت الآَن رحلة البحث والتعلم، ما بقي الآَن هي رحلة تجسيدها، رحلة القيام بعمل الخير، كما ردد أجدادنا الذين بلغوا هذه الحكمة، وكما قالوا لنا أئمتنا،

"حيٌّ على خير العمل".

بطرس: (هكذا ختم رواد قصتنا.. قصة عشق بدأت ولكنها لن تنتهِ أبداً، كانت الرواية إلى هذه اللحظة كاملة بخلاف تفصيل واحد بسيط لم نذكره سابقاً.

ولد رواد يوم 17/نيسان/2003 يقابله من التقويم الشرقي القديم 4/نيسان/2003 مما يعني أنه وُلِدَ في عيد الربيع، ولادته في هذا اليوم حثته على أن يحتفل في كل ذكرى ميلاد بطقوسٍ تأملية وروحية، كان هذا قبل معرفته أن يوم ميلاده يصادف ذلك العيد، إلى أن سار في رحلته بالتعلم، واكتشف أنه وطوال فترات حياته السابقة كان يحيي عيد الربيع دون أن يعرف، لقد ولد رواد في عيد الربيع ومات في عيد الربيع، لم يمت جسده بعد، لكن نفسه هي التي ماتت، وكمعاني عيد الربيع قدّمَ نفسه قرباناً في هذا اليوم ليفوز بالحب العظيم، ليبقى حيّاً إلى الأبد، لقد أشعلَ طائر الفينيق الذي بداخله وفاز بالخلود، لم يعد مجرد جسد، لقد أصبح كلمة يسطع صدى صوتها في كل الكون.)

بطرس على لسان رواد

رواد: (لم يكن الخروج من المعبد أمراً سهلاً، لقد انتظرتُ حدوث الهزة الأرضة الثانية والتي جعلت من جدران البئر تنخفض حتى استطاعت يدي الوصول إليها، فوضعت الكتاب الذي وجدته في حقيبتي مع المرآة ودفعت بأطرافي نحو الجدران لأتشبث.. وبدأت بالتسلق حتى وصلت نهايته وفتحتُ البوابة، كانت سماء الليل صافية ويبدو أن العاصفة _*التي حلّت قبل نزولي بالبئر*_ كانت قد انجلت، وهنا أغلقت البوابة خلفي والتي كانت قد أصبحت منخفضة مسافة ثلاثة أمتار عن سطح الأرض، وربما ستستمر في الانخفاض قريباً، لحسن الحظ كانت الأرض المحيطة بالبئر على شكل حفرة واسعة قليلة الانحدار وذلك بفعل الأمطار التي جعلت التراب رطباً فهبط مع نزول البئر، هممت في طمرها وعدتُ مسرعاً إلى المنزل.

أما عن بطرس... آه يا بطرس، لم يكن بطرس صديقاً لي قط، بل ولم يكن شخصاً، لقد كان بطرس صوت ضميري في الداخل، لم يكن شخصاً منفصلاً عني، بل كان في داخلي، إن

كل ما جرى من أحداث ليس من رواية شخصاً أخر، بل كان مني قبل أن أصبح رواد، لم يكن بطرس سوى خاطري، التساؤلات التي كنتُ أطرحها في مخيلتي، الشخصية التي أتتبع فيها نفسي وكل شيء من حولها، وأستكشف فيها الكل، كان ضميري الصاحي، وصوت أفكاري، والعين التي أرى بها نفسي وعقلي. قبل أن أصبح رواد كنت بطرس، ليس بالاسم، بل فيما يفعل، كنت أرى أن هناك مستوى من الحكمة داخل رواد لم يُكتشَف بعد، كان زاهياً متأملاً والأهم كان عارفاً، كنت أحاول دائماً أن أتعلم من هذا الجانب الحكيم والواعي منّي أنا، والذي يعبر عنه دوماً "العقل" والذي تجسَّد في هذا الكتاب باسم رواد، في كل مرة كان بطرس فيها يخاطب رواد لم يكن سوى مخاطبتي لعقلي، للجزء الساميّ مني، الذي بلغ في الحكمة.

هناك داخلِ كلٍّ منا رواد، العقل موجود لدى كل البشر وهو نقطة البداية وهو الوسيلة وهو نقطة النهاية، هو نبيك، إمامك ومرشدك، هو الذي يستطيع أن يدرك الغاية الكلية، والحكمة العلية، وأما سبب اختياري لاسم بطرس، كان إلهاماً من مكانة بطرس من يسوع، فبينما يمثل يسوع المعلم والعقل الحكيم، كان بطرس التلميذ المخلص والمحب الذي يسعى في حبّه ونيل حكمته، والذي نستشف من قصتهم أنه من استطاع أن يحمل ماء يسوع المقدسة من بعده بأن أصبح رسولاً ومبشراً وحكيماً، لقد كان بطرس، ثم أصبح يسوع، من

نوره ومن جوهره، يختلف عنه في الاسم فقط، وهكذا كنتُ أنا، كنت بطرس، إلى أن أصبحتُ رواد، صوت رواد لم يفارقني منذ الفطرة، فهو كان من يعطيني الإجابات دوماً لكل تلك الأسئلة، وهذا بديهي باعتباره عقلٌ جوهري بذاته. وأما في لباس بطرس، فقد كان اسمي رواد ولكن حالتي هي بطرسية، والآَن وبعد أن دخلت معبد الحب، ووجدت الكنز، أصبح الحب هو عنوان قصتي.. لم يكن المعبد الحقيقي هو ذاك الذي وجدته في عمق الأرض، بل كان ذاك الذي يقبع في أعماق داخلي، في داخل كل منا معبد تكمن فيه العبادة الحقيقية والتي هي الحب، الحب للمعرفة، الحب للعقل، الحب لكل ما هو موجود، الحب للوجود، الحب بدافع الحب، أصبحتُ رواد، بكليته وبهمته، وسنكتب بحبٍّ وسنعمل بحبّ ما لم يُكتَب من قبل وما لم يتم العمَل به من قبل.

هيكل الحب

لوكاس: فرناندو أين أنت؟ الطعام جاهز تعال وتناوله معنا.

ماري: هذا الصبي كثير الاختفاء، إنه لا يهدأ، لا أعلم السر الذي يجعله يجلس وحيداً في نهاية الحديقة دون القيام بأي شيء، ليس هذا فقط بل وصعدتُ مرةً إلى السطح فوجدته كان يجلس على العتبة العالية، خفت عليه أن يسقط فصحتُ أطلب منه النزول، غير أنه لم يستجب بسرعة ولم يُدر وجهه لي حتى، إلا بعد مدة من الصياح، وبدا منزعجاً من دخولي إليه، وكأني اقتحمت عالمه المليء، غير أني لا أجد في عالمه هذا شيء، إنه فقط يجلس في هذه الزوايا ولا يكون حوله شيء لأشغله عنه.

لوكاس: أجل وأظن أنه لم يسمع ندائي، دعيه فليحصل على ما يريد.

(كان الولد في الحديقة لحظة النداء غير أنه كان يفكر في أمر ما، لا يرى فرناندو أن الطعام أمراً يستحق أن يقطع سلسلة أفكاره لأجله، هو فقط كان يحتاج برهة من الزمن إلى حين أن يتوصل للهدف من أفكاره.)

فرناندو (مع نفسه): كم حياتهم هذه مليئة بالصراخ، لا يعلمون العالم الذي نستطيع دخوله بالصمت، ويا له من تفكير سطحي، إنهم يظنون أنه يجب رؤية الألعاب والأصدقاء والأشياء من حولي حتى يظنون أنني أنشغل في عالم جميل، لا يعرفون العوالم الأكثر جمالاً التي لا يمكن أن ترى بالعين، إن باب الدخول الوحيد لهذه العوالم هو القلب، لا يمكنك أن تفتح هذا الباب بالصراخ، ولا إن قمت بالتكلم مع الناس والانشغال بالطعام، وإن حاولت قول ذلك لهم لا يستوعبون، يرون أننا _ الذين نقوم بذلك _ مجانين وأننا نظن أنفسنا أبطال خارقين، لأن حتى قول ذلك الكلام سيتم فهمه على أننا نصنع عالماً من الخيال لنا، لا يعرفون أننا نكتشف عوالمنا الحقيقية في تلك اللحظة.

(وبعد دقائق دخل حيث والداه وأخته وجلس معهم على طاولة الطعام.)

فرناندو (مع نفسه): أراهن على أنهم الآن سيقولون لي ماذا كنت تفعل، ولماذا تأخرت ولماذا لم تجب على النداء ...إلخ من الملامات التي لا فائدة لها، بدلاً من سؤالي عن كيف أستمتع في هذه اللحظات.

لوكاس: أين كنت يا ولد، لقد ناديناك لبرهة ولم ترد، ألم تحفظ بعد موعد الطعام؟

ماري: نعم يا بني، هل ما عدنا جديرين بالاهتمام؟

فرناندو: ليس ذلك، لا تقلقوا من تأخري، أنا فقط أكون أفكر في أمر ما ولا أرغب في التشتت، يمكنكم البدء بدوني في حال تكرر تأخري.

ماري: وفيما تفكر كل هذا الوقت؟

فرناندو: أفكر في كثير من الأمور عادة، لكن كان هناك أمراً شغل بالي كثيراً هذه المرة، لقد رأيت حلماً، لكنه لم يكن حلم بسيط، لقد شعرت وكأنه مضى سنوات، لا أذكر الكثير من تفاصيله، لكني أذكر أنه هناك هيكلاً ضخماً ومجموعة من الشيوخ، أو المعلمين على ما أظن، وملك يحكم شعباً قديماً حيث لم يكن هناك سيارات وآلات حديثة، كانوا من حملة السيوف، ومن الكتبة على الألواح بدل الورق، ويكتبون عليها بواسطة القصب والأعواد حيث لم يكن هناك أقلام حينئذ، ومن ثم يمضي الزمن إلى حين أتى شاباً يافعاً، طويل القامة، يسمى رواد، وقد اكتشف هذا الشاب معبداً قديماً يتعلق بالملك ووجد كنزاً عظيماً.

لوكاس: يبدو أنك نمت جيداً حتى راودك هذا الحلم.

ماري: يبدو أنه حلم جميل، كُل الآن ودع الحلم جانباً.

فرناندو (مع نفسه): هذا هو النمط العام والتقليدي للعائلة، هكذا يكون من لم تتح له الحياة أن يفكر أبعد من مائدة طعامه، أو ما يحتاجه ليبقى على قيد الحياة.

(وبعد الانتهاء من اتناول الطعام صعد إلى الموقع المعتاد على سطح المنزل، جلس وقال في نفسه: "يصعب على الآخرين فهم

حقيقة الأمور داخلنا، لا يسعهم أن يستمعوا لأمر أو حكمة حتى تجدهم ينسبوها إلى عالم خيالي وردي ومثالي، لأنهم غير قادرين على ممارستها، أو عيش حياة تسعى لنيلها، يقللون من قيمة الكنز لأنهم غير قادرين للوصول إليه، بينما يقومون بتثمين كل ما تصل إليه أيديهم، يعتقدون أن الكنز يقتصر على الذهب والفضة والألماس وما إلى هنالك.. هم لم يسألوا حتى عن طبيعة الكنز، كيف لهم أن يدركوا أنه أعظم بكثير مما قاموا بالتفكير به.

يبنون قصوراً في الخارج بينما قلوبهم فارغة، إن القصر الحقيقي يقبع في الداخل، في القلب، من يقوم بتشييده جيداً من الداخل يصل إليه.

كيف لي أن أخبرهم أن الحب هو أعظم كنز يمكن أن يتم إيجاده، لا أعلم علم اليقين، لكني أعرف أن هذه الأمور كلها تقبع في قلوبنا، إن رواد الذي اعتبروه شخصاً خيالياً أشعر به وكأنه داخلي، فهل سأخبر أحداً عنه؟ .... لا أظن أنهم يستحقون معرفة هذا السر.")

الحب سرّ ولا يمكن كشف هذا السر أو حتى التحدث عنه، فقط يمكنك أن تعيشه، هكذا كانت رحلتي مع هيكلٍ لا يتواجد سوى في أعماق القلب.

"ليفنى كل شيء ويحيا العشق."

النهاية